

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفرالحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

كفى تفريقاً للأمة باسم السلف

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفرالحوالي

« نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

بقلم الدكتور
عمر عبدالله كامل

الناشر
دار المصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيباً محمد وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد:

لقد سرني قراءة هذا الكتاب القيم لصديق الدكتور عمر عبد الله كامل - أحسن الله إليه - ، تناول فيه **بهدوء وموضوعية** مناقشة فضيلة الدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي من خلال كتابه (نقد منهج الأشاعرة) ، والذي جمع فيه الدكتور سفر جماع الشبهات والاعتراضات الموجهة ضد مذهب إمام من أئمة أهل السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ،

وقد تلقف «كتاب النقد» لفضيلة الدكتور سفر عدد من الشباب المتحمس هنا وهناك ، ، واطمأنوا إلى أن كل ما في الكتاب حق لا ينافي ، حتى عظمت به الفتنة وتطاول الصغار على كبار العلماء سلفاً وخلفاً مجرد أنهم يتسبون لإمام السنة أبي الحسن الأشعري ، ولم يشفع للأشاعرة - عند هؤلاء - أنهم من جملة الذين حفظوا على

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الأمة دينها، ودونوا لها تراثها وردوا عنها كيد الملاحدة والمشككين، بل إن الأشاعرة هم الذين حفظ الله بهم ببيضة الإسلام على يد أمثال نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي وقطز وغيرهم من قادة الأشاعرة وعلمائهم.

ونظراً لما يحويه كتاب الدكتور سفر من افكار خطيرة لها أثراً سلبياً على وحدة الأمة، وعملها على توسيع هوة الخلاف بين المسلمين وضرب المؤسسات الدينية الكبرى - كالزهر وغيره - في أعظم مقتل إلا وهو صحة العقيدة - **تناول الدكتور عمر عبد الله كامل في حوار هادئ ما ذكره الدكتور سفر، لبيان الأمر**

ولقد تناول الدكتور عمر جميع النقاط والأبواب والأصول وقد وفق غاية التوفيق في بيان الترابط والانسجام التام بين مذهب السلف والأشاعرة، .

ولا شك أن الحوار الجاد الهادئ هو وسيلة الباحث المنصف لمعرفة الحق ، ومن ثم كان لابد من طرح الرأي في مقابلة الرأي الآخر، ومقارعة الحجة بالحججة ، والدليل بالدليل ، تاركاً للقارئ الباحث الموازنة والمقارنة والاختيار.

ولعل هذا الكتاب يضيف لبنة لمزيد من الدراسات والبحوث الجادة في هذا الموضوع الشائك الذي اتسمت بحوثه بأحادية النظرة تارة والعصبية تارة والحوار المتشنج تارة أخرى.

والله سبحانه وتعالى هو المسؤول أن يوفق **المتحاورين** لما يحبه ويرضاه، وأن يؤلف بين قلوبنا وأن يجمع ذاتينا، وأن ينجي أمّة الحبيب المصطفى ﷺ من الفرقة والشتات والهلاك ، وأن يجمعها سبحانه وتعالى على ما يحبه ويرضاه. وأحسب أنهما مقصدنا إلا الحق

والله سبحانه وتعالى وحده من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالى « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الدكتور أحمد الكبيسي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لما خلق الله تعالى الإنسان، وهب له وسائل للعلم، وجعله مكلفاً بناءً على وجود هذه الوسائل كما ذكر بالنص البين الذي لا يمكن تأويله ﴿وَاللَّهُ أَخْرِجَكُمْ مِّنْ بَطْوَنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ لِعُلُوكِمْ تَشَكَّرُونَ﴾ فانظر - رحمك الله - كيف جعل الشكر متربتاً على وجود وسائل المعرفة المذكورة وهي السمع والأبصار والأفئدة.

وقد أمرنا الله تعالى أن لا نتبع شيئاً إلا إذا وصلنا عن طريق من هذه الطرق ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفَؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾ وفي هذا مدح لكل وسيلة من هذه الوسائل من حيث كونها طريقاً إلى العلم. وقد ذم الله تعالى الكفار لأنهم يتبعون مطلق الظن العائد إلى الشهوة النفسية، وشنع عليهم بأنهم لا يملكون علماً، وفي هذا لفت للنظر إلى وجوب استخدام هذه الوسائل، لأنها طرق العلم.

فالله تعالى هو الذي نصب الوسائل طرقاً للمعرفة والعلوم، وقد مدح الله أقواماً لأنهم يعقلون، وهذا إشارة إلى مدح مطلق العقل، أنه لا يوجد شيء اسمه عقل مذموم، إلا على سبيل المجاز، إذ كيف يكون عقلاً ومنذموماً، وهذا يناظر أن يقال: علم غلط، وهو جمع بين الضدين أو حتى النقيضين وهذا غير ممكن.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

فالعقل محمود مطلقاً، لأن الله سبحانه وتعالى مدحه مطلقاً ومدح المتصف بالعقل ولم يرد في نصٍ ذمٌ للعقل، ولا يجوز شرعاً ذمه بوجه من الوجوه.

ولا خلاف بين العلماء أن العقل إن لم يكن هو نفسه هذه الوسائل الثلاثة أو واحداً منها، فلا بد أن يكون لازماً عنها، وما كان لازماً للحق فهو حق، ويستحيل وجود لازم للحق وهو باطل. فتدبر.

ولما أرشدنا الله تعالى إلى وسائل المعرفة عطفها على بعض بالواو التي تفيد مطلق الجمع وما هذا إلا إشارة إلى أن لا تعارض بين أي واحد من هذه الثلاثة، ولا يجوز وجود تعارض، ومع عدم وجود التعارض يستحيل وجود ترجيح، لأنه فرعٌ عنه. وعلى هذا يكون من رجح أمراً على أمرٍ منها مخالفًا لنص القرآن.

وهذا الكلام لا يجوز أن يخالف فيه إلا من لا يحصل معانيه.

ومعلوم لدى كل إنسان عاقل أنه يحكم على بعض الأمور أحياناً على سبيل الجزم وأحياناً على سبيل الظن، فتبين التفرقة الضرورية بين منزلة الظن والقطع.

ومعلوم لدى كل عاقل أيضاً أن للألفاظ مراتب في دلالتها وهذا الأمر اتفق عليه علماء الدين، فبعض الألفاظ لا تحتمل في دلالتها إلا معنى واحداً، وبعضها تحتمل أكثر من معنى مع رجحان في واحدٍ أو بدونه. وهذا أيضاً معلوم. فليس كل لفظ نصاً في موضوعه. ولا ينكر هذا منكراً.

وقد مضى بيان أن العلم يمكن أن يأتي عن طريق السمع، ويمكن أن يأتي عن طريق الفؤاد.

ولا يمكن تعارض العلوم مهما كانت وسائلها.

وحيثما وقع تعارض فلا بد من وجود طريقٍ غلط أو الطريقين.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وحينئذ يرجع العلم وهو القطع على الظن مطلقاً.

وإذا كانا ظنيناً ينظر للقرائن وللغلبة.

وقد تكلم الإمام الرازى في كتبه على احتمالٍ واحدٍ من الاحتمالات العديدة فقال مثلاً في كتاب أساس التقديس ص ١٧٢ :

الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها.

والقانون الذي ذكره مبني على هذا الاحتمال، وهذا احتمالٌ ممكناً، وكونه ممكناً يدرك بمجرد فهم معنى الظاهر ومعنى البرهان كما أشرنا، فالظاهر لفظ محتمل مع رجحان إذا أخذ منفرداً في معنى، وأما البرهان فهو لا يستعمل إلا في القطعي من الأدلة.

والحاصل من كلام الرازى أن العقل القطعي والنقل كذلك لا يتعارضان قطعاً، ولا يمكن تصور ثبوت التعارض، وكل دليل عقلي إما أن يكون دليلاً برهانياً أي قطعياً أو غير قطعياً أي ظنياً: وكذا الدليل النقلية إما أن يكون قطعياً ونقصد هنا القطعية في الدلالة والثبت معاً أو ظنياً في أحدهما أو كليهما؛ فالعارض غير مقصور بين العقلي القطعي والنقلية القطعية. ومتصور في غير هذا، فإذا وقع تعارض، فالمقدم هو القطعي مطلقاً سواءً كان النقلية أم العقلية. فوجه الترجيح والتقديم ليس هو كونه أي الدليل عقلياً أو نقلياً بل كونه قطعياً أو لا، وإذا تعارض ظنينان كان المقدم الأقوى مطلقاً.

هذا هو خلاصة معنى كلام الرازى كما هو ظاهرٌ، وقد خصص الكلام على حالة واحدة هي إذا كان التعارض واقعاً بين قطعى عقلى وظنى نقلى، فال الصحيح أنه يجب تقديم القطعى العقلى أيضاً، وعدم تسليم ما ينسب إلى النص النقلى أي عدم التسليم بأن المعنى الفلاني هو الظاهر، بل هو غير ظاهر لأنه قام الدليل على استحالة كونه مقصوداً. أو يقال بالتفويض.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويقصد بالقطعي من حيث الثبوت: المتواتر كالقرآن والأحاديث المتواترة.

ويقصد بالظني من حيث الثبوت: أحاديث الأحاداد.

ويقصد بالقطعي من حيث الدلالة: القول الذي لا يحتمل أكثر من معنى واحداً.

ويقصد بالظني من حيث الدلالة: ما يمكن أن يحتمل أكثر من معنى.

لقد نشأ علم الكلام بعد أن دخلت مذاهب غريبة على الديار التي فتحها المسلمون، وكان فيها من أهل الديانات القديمة كاليهود والنصارى والمجوس، وكانت في رؤوسهم أفكارهم الدينية التي استولت على مشاعرهم، فأثاروا بين المسلمين ما يثار في دياناتهم من مشاكل في الجبر والاختيار وصفات الله والتجمسي والقدر... وغيرها من المسائل.

وكان بعضهم يطلب الحقيقة واطمئنان القلب، وكان بعضهم ييطن غير الإسلام

ويقصد تشكيك المسلمين في عقيدتهم.

ولقد ثارت هذه الفتنة في زمن سيدنا علي (وما تلاه من أحداث وظهور الفرق التي تأثرت بالأديان والفلسفات السابقة كالمانوية والغنوصية والشتوية. وما زاد الطين بلة ترجمة كتب الفلاسفة السابقة وما حملته من خبط فيما كان يسمى ما وراء الطبيعة (الغيبيات)).

ولم يقتصر النزاع على هذا الأمر بل امتد في زمن الفتنة الكبرى إلى مشكلة الخلافة والإمامية ومرتكب الكبيرة هل هو مخلد في النار أو في منزلة بين المزلتين... وكثير من الشبهات التي ما كان يسع المسلمين إلا أن يعملوا أفكارهم ويردوا عليها.

فظهر المعتزلة وقبلهم كثير من أمثال (القاسم الرسي) من لا يتسع المجال لذكرهم وأبلوا بلاء حسناً بالرغم من مجانبهم الصواب في بعض المسائل، فقيض الله الإمام أبا الحسن الأشعري لدعيم العقيدة الإسلامية الصافية الثابتة بالكتاب والسنة بأسلوبهم

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وبينطقوهم وبقواعدهم فهذا الاعتزال انتصاراً لأهل السنة ولم يخالف المنقول.

إن علماء الحديث والسنّة وقفوا طويلاً أمام الكلام نابذين أصحابه مبعدين عن الخوض فيه، ثم دخلوا الميدان حينما قويت شوكة المعتزلة فاضطروا اضطراراً إلى مجابتهم -لا سيما عند مخالفة القرآن- ولكن بمنهج مخالف كما اضطر الإمام أحمد بن حنبل أمّام الأحوال الطارئة أن يقف مدافعاً عن العقيدة الصحيحة فقال: «كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بداً من مخالفتهم والرد عليهم» (عقائد السلف لابن قتيبة ص ٤٦٧).

فكان طريقتهم في الدفاع عن أصول الدين اتباع منهج السلف أي مراعاة المعاني الصحيحة والألفاظ الشرعية والرد على من تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقاً وباطلاً.

ومثال ذلك هو طريقة الإمام أحمد في المخالفة فقد أصر على الامتناع من التلغظ بالألفاظ لم ترد في الشرع، فلما حاولوا إلزامه القول بالجسمية امتنع وأجاب: «هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد».

ومنذ قيام الأشعري بالرد على المعتزلة أصبح هناك تياران يعيشان جنباً إلى جنب كل منهما يتنهج منهجاً متميزاً، وهذا المنهجان يتسببان إلى السنّة ويعلنان أنهما يتمسكان بها:

أحدهما: منهج علماء الحديث المتصل بسلسلة طويلة من الأئمة بادئته بعصر الصحابة، ولكن أصبح الإمام أحمد بن حنبل علماً له واشتهر باسمه بسبب ما لاقاه في المخالفة من عذاب وابتلاء.

الثاني: موقف جديد معارض للمعتزلة أيضاً ولكن استخدم طريقة علماء الكلام مع محاولة التوفيق بين المنقول والمعقول، وقد بدأه أبو الحسن الأشعري موافقاً مذهب السنّة والحديث في أصولهم العامة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ولقد قام الدكتور (سفر الحوالي) بإصدار كتاب (نقد منهج الأشاعرة في العقيدة) أصدره عام ١٤٠٧هـ، ويفع في (٨٩) صفحة من القطع الصغير، ردًا على الشيخ محمد علي الصابوني، وزعم سفر أن الأشاعرة مخالفون للسلف في معظم القضايا الإمامية إلا الصحابة، ثم أصبح الكتاب عمدة كثير من المتأخرین الذين أصبحوا يحكمون على الأشاعرة بالهلاك والضلال لثقتهم في الدكتور سفر لكونه من أكبر الدعاة السلفيين هذه الأيام ومن هنا جاءت ضرورة كشف ما ارتكبه من مغالطات ومذهبية ضيقة.

ولكن أبت فرقـة إلا أن تختـكر وصف أهل السنة والجـماعة لنفسـها وتخرج جـمهور المسلمين منه.

وهـنا أتسـاءل : هل ورد لـفـظ أـهـل السـنـة والـجـمـاعـة عـلـى لـسـان رـسـول الله ؟ أمـ هو مـصـطـلـح مـسـتـحدـث ؟ فإنـ كان مـصـطـلـحـا فلا يـعـدـو أنـ يـكـونـ أحدـ أمرـينـ :

الأـوـلـ : أنـ أـهـل السـنـة والـجـمـاعـة هـمـ منـ سـمـواـ أـنـفـسـهـمـ بـهـذـا الـاسـمـ.

الـثـانـيـ : أنـ مـخـالـفـيـهـمـ سـمـوهـمـ بـهـذـا الـاسـمـ.

فـإـذـاـ كـانـ أـهـلـ السـنـةـ والـجـمـاعـةـ هـمـ منـ سـمـواـ أـنـفـسـهـمـ بـهـ ،ـ وـأـجـمـعـ الـعـلـمـاءـ عـلـىـ ذـلـكـ فـبـأـيـ حـقـ يـأـتـيـ الـيـوـمـ مـنـ يـخـرـجـهـمـ مـنـ هـذـهـ الـفـرـقـةـ ؟ـ وـهـلـ ظـلـ الـمـسـلـمـونـ سـبـعـةـ قـرـونـ يـنـتـظـرـونـ اـبـنـ تـيـمـيـةـ لـيـعـدـ تـصـنـيـفـهـمـ ؟ـ

وـالـأـعـجـبـ مـنـ هـذـاـ أـنـ مـنـ يـخـاـلـوـنـ اـحـتـكـارـ لـفـظـ (ـأـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ)ـ لـأـنـفـسـهـمـ لـوـ أـخـرـجـوـاـ أـشـاعـرـةـ مـنـ صـفـوـفـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ لـمـ يـبـقـ لـهـمـ كـتـابـ فـيـ التـفـسـيرـ أوـ الـحـدـيـثـ أوـ الـفـقـهـ أوـ الـلـغـةـ فـهـلـ يـجـوزـ أـنـ يـخـرـجـ أـقـلـ أـكـثـرـ ؟ـ

وـقـدـ اـبـدـعـ الدـكـتـورـ سـفـرـ (ـفـيـ إـحـدـىـ مـقـالـاتـهـ الـحـدـيـثـةـ)ـ تـسـمـيـةـ مـنـ عـنـدـهـ أـسـمـاهـاـ (ـأـهـلـ السـنـةـ وـالـاتـبـاعـ)ـ وـالـمـعـلـومـ أـنـهـمـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ ،ـ إـلـاـ إـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـخـتـرـعـ اـسـمـاـ مـنـ يـدـعـوـنـ السـلـفـيـةـ لـيـمـيـزـهـمـ عـنـ غـيرـهـمـ مـنـ أـهـلـ السـنـةـ وـالـجـمـاعـةـ .ـ

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وكما هو معلوم فإن أئمة الاتباع هم أئمة المذاهب الأربع (أبو حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل) رضي الله عنهم، فلم يصدر أحد منهم في آرائه الفقهية إلا عن آية أو حديث، فإن لم يجد فمن مصادر التشريع التي تليهما كالإجماع والقياس أو قول الصحابي.

ولا ينكر أحد أن هذه المذاهب التي أجمع على تسميتها بأهل السنة والجماعة هم من أهل الاتباع.

فكلمة السلف تطلق على أهل القرون الثلاثة الأولى، وقد كانوا فيها (أئمة المذاهب) فلا يمكن إخراجهم من أئمة السلف.

وإنني أعلن أنني أؤمن بنجاة كل من قال (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وأحسن الظن ببواطنهم، فمن أصحاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر، وألتمس العذر للألفاظ التي بدرت من بعض العلماء في حق بعضهم، فهم بين يدي مليك مقتدر وهو أرحم الراحمين.

وأنا هنا لا أبرئ أحداً من الخطأ (أشاعرة وغيرهم) فكل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.

كما إنني لا أحتكر الحق للأشاعرة فقد قامت فرق قبل الأشاعرة تناح عن الإسلام وتدافعت عنه نافية تعدد الآلهة والثنوية والمانوية كما سيرد في ثانيا الكتاب.

إلا أن الأشاعرة كان موقعهم الوسط بين تلك المذاهب فأصبحوا جمهور علماء الأمة من أهل السنة، وليسوا بحاجة إلى مثلي كي ينصفهم أو يدافع عنهم.

وما دفعني للرد على الدكتور سفر: إلا لأنه حمل حملة شعواء ظالمة على الأشاعرة وعلمائهم، ولو أنصف وراجع كتب الطبقات لعلم من هم الكثرة من جمهور

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

العلماء.

أسأل الله أن يغفر لي وله ولسائر علماء المسلمين وعامتهم، وأن يرينا الحق حقاً
ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقدر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

[بيان من هم أهل السنة]

يقول ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب :

«اعلم أن أهل السنة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل وإن اختلفوا في الطرق والمبادئ الموصولة لذلك.

وبالجملة فهم بالاستقراء ثلاثة طوائف :

الأول: أهل الحديث.

ومعتقد مبادיהם الأدلة السمعية - الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي وهم الأشعرية والحنفية (الماتريدية).

وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري، وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي.

وهم متفقون في المبادئ العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادئ السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط والعقلية والسمعية في غيرها، واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسائل.

الثالثة: أهل الوجود والكشف وهم الصوفية.

ومبادיהם مبادي أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية» أهـ.

وسائل الإمام ابن رشد الجد المالكي رحمه الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة وحكم من ينتقصهم كما في فتاوى(٢/٨٠٢)

ومما جاء في جوابه (وسوف نذكر ذلك بالتفصيل في الرد على كلام سفر عند قوله حكم الأشاعرة عند أئمة المذاهب الأربع) :

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

«.... وهؤلاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى ومن يجب بهم الاقتداء لأنهم قاموا بنصر الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيف والضلالات، وأوضحو المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات فهم، بمعرفتهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل وما يجب له وما يجوز عليه وما يتغى عنه، إذ لا تعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقر لهم بسوابقهم، فهم الذين عنى رسول الله ﷺ وآله وسلم بقوله «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فلا يعتقد أنهم على ضلاله وجهالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زاغ عن الحق مائل، **ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق**، وقد قال الله عز وجل ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾، والله أسأل العصمة والتوفيق برحمته. قاله محمد بن رشد[1]. انتهى كلامه وانظره بتمامه في الموضع المشار إليه آنفا

وقال الإمام محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي الأثري:

«أهل السنة والجماعة ثلاثة فرق: الأثرية وإمامهم أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى، والأشعرية وإمامهم أبو الحسن الأشعري رحمة الله تعالى، والماتريدية وإمامهم أبو منصور الماتريدي»⁽¹⁾.

ومن لوائح الأنوار السننية نقل عنه هذه النصوص :

يقول المصنف السفاريني (٢٦٠/١) :

«فالصفات الذاتية المتفق عليها عند أهل السنة من الأثرية والأشعرية والماتريدية».

(١) لوامع الأنوار البهية وسواتع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المصية على عقائد الفرقة الناجية، ص. ٧٣.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويقول في (١٥/٢) :

«وهذا قول عامة أهل السنة والجماعة من أهل الحديث والفقه ، والكلام من الأثرية والأشعرية والماتريدية وغيرهم».

ويقول في (١٣٨/٢ - ١٣٩) :

«فمذهب أهل السنة كافة من السلف الأثرية والخلف الأشعرية والماتريدية».^(١)

(١) لواحة الأنوار السننية ولوائح الأفكار السننية طبعة مكتبة الرشد. ٢٦٠/١

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

[اعتراف الدكتور سفر أن مذهب الأشاعرة هو مذهب جمهور الأمة]

يقول الدكتور سفر:

«فالمسألة أكبر من ذلك وأخطر، إنها مسألة مذهب بدعى له وجوده الواقعي الضخم في الفكر الإسلامي حيث تمتليء به كثيرة من كتب التفسير وشروح الحديث وكتب اللغة والبلاغة والأصول، فضلاً عن كتب العقائد والفكر، كما أن له جامعاته الكبرى ومعاهده المنتشرة في أكثر بلاد الإسلام من الفلبين إلى السنغال».

التعليق:

هذا اعتراف من الدكتور بأن مذهب جمهور المسلمين هو مذهب الأشاعرة والماتريدية.

فجلّ كتب التفسير والحديث والعقائد والأصول والبلاغة بل الجامعات العريقة (باعترافه) تتبع هذا المذهب.

أفنطر كل هؤلاء وتابع الدكتور سفر وما هو إلا مقلد؟؟؟
وهل كان لزاماً على الأمة أن تنتظر هذه القرون الطويلة حتى القرن السابع الهجري حتى يأتي من يصحح عقائدها؟؟؟

والذي ينبغي أن يكون معلوماً أنه ليس هناك خلاف كبير بين الأشاعرة والماتريدية، وإنما الخلاف في مجموعة من المسائل تجدها في إشارات المرام للعلامة البياضي.

وهذه المسائل الخلاف في معظمها لفظي، والباقي حقيقي ولكنه ليس خلافاً في الأصول فلا تضر المخالف فيه.

[بيان تلبيس الدكتور سفر في بيانه حكم الأشاعرة عند أئمة المذاهب الأربعة]

ثم يقول الدكتور سفر:

وسنأتي بحكمهم عند أئمة المذاهب الأربعة من الفقهاء بما بالك بأئمة الجرح والتعديل من أصحاب الحديث :

التعليق:

أما أئمة المذاهب الأربعة الفقهاء فقد توفاهم الله تعالى قبل أن يولد الأشعري !! لأن الأشعري ولد سنة (٢٦٠)هـ، وآخر الأئمة موتاً هو أحمد بن حنبل توفي سنة (٢٤١)هـ فكيف يحكمون على الأشعري الذي ولد بعد وفاتهم؟! أليس هذا من التدليس؟!

ويا سفر هل كان أئمة المذاهب في الفروع مشغولين بالأحكام العملية أم الاعتقادية؟ فلا تدلس على الناس.

(ولكن إن أراد سفر بأئمة المذاهب الأربعة علماءهم الكبار من غير الأئمة فسيأتي في ثنايا الكتاب نقول عن كبار علماء المذاهب الأربعة تظهر آراءهم في مسائل العقيدة).

ثم يقول الدكتور سفر:

١ - عند المالكية:

روى حافظ المغرب ابن عبد البر بسنده عن فقيه المالكية بالشرق ابن خويز منداد أنه قال في كتاب الشهادات شرحاً لقول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، وقال: «أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً،

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تماذى عليها استتب منها.

وروى ابن عبد البر نفسه في الانتقاء عن الأئمة الثلاثة «مالك وأبي حنيفة والشافعي» نهיהם عن الكلام وجزر أصحابه وتبعديهم وتعزيرهم، ومثله ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» فماذا يكون الأشاعرة إن لم يكونوا أصحاب كلام؟

التعليق:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» (٢٩١/٥ من الطبعة الهندية) و(٣٢٩/٥ من طبعة دار الفكر) ما نصه :

«عنه [ابن خويز منداد] شواذ عن مالك، واختيارات وتأويلات لم يعرّج عليها حذّاق المذهب كقوله إن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار وأن خبر الواحد مفید العلم.... وقد تكلّم فيه أبو الوليد الباقي ولم يكن بالجيد النظر ولا بالقوى في الفقه وكان يزعم أن مذهب مالك أنه لا يشهد جنازة متكلّم ولا يجوز شهادتهم ولا مناكحتهم ولا أماناتهم، وطعن ابن عبد البر فيه أيضاً» انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

فهذا قول أهل الجرح والتعديل في ابن خويز منداد، **فهل يكون حجة وأهل مذهبه على خلاف رأيه؟**

قلت: ظاهر ما نقلناه رأي إمامي المالكية الباقي وابن عبد البر في ابن خويز منداد ومن عجب أنه نقل عنه على ما يبنا من حاله، وترك الأقوال المتکاثرة عند المالكية في الانتصار للمذهب الأشعري إذ **كل المالكية أشاعرة إلا من شذ ولا عبرة به.**

وها نحن ننقل عن شيخ المذهب الإمام ابن رشد الجد ما يدحض ما ادعاه الدكتور سفر :

سئل الإمام ابن رشد الجد المالكي رحمة الله تعالى الملقب عند المالكية بشيخ المذهب عن رأي المالكية في السادة الأشاعرة وحكم من ينتقصهم كما في فتاويه (٨٠٢ / ٢)

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

وإليكم نص السؤال والجواب :

[ما يقول الفقيه القاضي الأجل... أبو الوليد - وصل الله توفيقه وتسديده ونهج إلى كل صالحة طريقه - في الشيخ أبي الحسن الأشعري وأبي إسحاق الإسفرايني وأبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي... ونظرائهم من يتحل علم الكلام، ويتكلّم في أصول الديانات، ويصنّف للرد على أهل الأهواء؟ أهم أئمة رشاد وهداية أم هم قادة حيرة وعمامية؟ وما تقول في قوم يسبونهم ويتقصونهم، ويسبون كل من يتتمي إلى علم الأشعرية ويكررونها ويتبرّرون منها وينحرفون بالولاية عنهم، ويعتقدون أنهم على ضلاله، وخائضون في جهالة؟ فماذا يقال لهم ويصنع بهم ويعتقد فيهم؟ أيتركون على أهوائهم أم يكف عن غلوائهم.....؟؟ !]

فأجاب :

تصفحت عصمنا الله وإياك سؤالك هذا ووقفت عليه، و هو لاء الذين سميت من العلماء أئمة خير وهدى ومن يحب بهم الاقتداء لأنهم قاموا بنصر الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيف والضلالات، وأوضحاوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقداتفهم بأصول الديانات العلماء على الحقيقة، لعلمهم بالله عز وجل وما يجب له وما يجوز عليه وما ينتفي عنه، إذ لا تُعلم الفروع إلا بعد معرفة الأصول، فمن الواجب أن يعترف بفضائلهم ويقر لهم بسابقاتهم، فهم الذين عنى رسول الله ﷺ وآلله وسلم بقوله «يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فلا يعتقد أنهم على ضلاله وجهالة إلا غبي جاهل، أو مبتدع زائف عن الحق مائل، ولا يسبهم وينسب إليهم خلاف ما هم عليه إلا فاسق، وقد قال الله عز وجل ﴿وَالَّذِينَ يُؤذِنُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهَتَانًاٰ وَإِثْمًاٰ مِّنْهَا﴾، فيجب أن يبصر الجاهل منهم، ويؤدب الفاسق، ويستتاب المبتدع الرائع عن الحق إذا كان مستسهلاً ببدعة، فإن تاب وإنما ضرب أبداً حتى يتوب

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصيغ المتهم في اعتقاده من ضربه إيه حتى قال يا أمير المؤمنين إن كنت ت يريد دوائي فقد بلغت مني موضع الداء وإن كنت تريد قتلي فأجهز عليّ فخلّى سبيله ، والله أسائل العصمة والتوفيق برحمته . قاله محمد بن رشد .

فهذا رأي العلماء المحقدين من المالكية ، فما رأيك يا دكتور سفر؟؟؟

ثم يقول الدكتور سفر:

عند الشافعية:

قال الإمام أبو العباس بن سريح الملقب بالشافعي الثاني ، وقد كان معاصرًا للأشعرى : « لا نقول بتأويل المعذلة والأشعرية والجهمية والملحدة والمجسمة والمشبهة والكرامية والمكيفة بل نقبلها بلا تأويل ونؤمن بها بلا تمثيل ».

التعليق:

كيف يقول ابن سريح هذا الكلام وقد كان عمر الأشعري عند وفاة ابن سريح ما زيد قليلاً على الأربعين ، وتعلم بقاء الأشعري على الاعتزاز وأربعين سنة فمتهى سمعه ابن سريح ولما يتكون مذهب الأشعري بعد؟

ومن العجب أن الدكتور سفر نقل تواريخ الوفاة وقال : « والظاهر أنه توفي قبل رجوع الأشعري لمذهب السلف » ثم مع كل هذا اعتمد النص ومتنه صارخ بنكارته .

وأمر آخر أنه نقل هذا الكلام اعتماداً على ابن القيم في « اجتماع الجيوش » والذي فيه مروي بسند فيه انقطاع بين الزنجاني وابن سريح .

أليس هذا من التدليس يا سفر؟؟؟

ثم يقول الدكتور سفر:

قال الإمام أبو الحسن الكرجي من علماء القرن الخامس الشافعية ما نصه : « لم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبؤون مما بنى

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الأشعري مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه على ما سمعت من عدة من المشايخ والأئمة ،» وضرب مثالاً بشيخ الشافعية في عصره الإمام أبو حامد الإسفرايني الملقب «الشافعي الثالث » قائلاً :

«ومعلوم شدة الشيخ على أصحاب الكلام حتى ميز أصول فقه الشافعى من أصول الأشعري ، وعلق عنه أبو بكر الراذقانى وهو عندي ، وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى كتابه اللمع والتبصرة حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا م فيه وقال : « هو قول بعض أصحابنا وبه قال الأشعري ولم يعدهم من أصحاب الشافعى ، استنفروا منهم ومن مذهبهم فى أصول الفقه فضلاً عن أصول الدين » أ.هـ.

التعليق:

نقول لم اكتفيت بالنقل عن الكرجي مع كونه نقلًا غير صحيح - كما سيأتي - ؟ .

وهل هذا يكفي في بيان رأي المذهب؟

ولماذا لم تقل عن البيهقي والشيخ أبي إسحاق الشيرازى وأبي محمد الجوني وإمام الحرمين والغزالى وأبى بكر الشاشى والعز ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والإمام النووي وابن عساكر والخطيب البغدادى والعرaci والحافظ ابن حجر وغيرهم كثير؟

بل عن كثير من المؤخرين أيضًا كالشيخ زكريا الأنصارى وابن حجر المكي والرملى والخطيب إلى يومنا هذا؟؟؟ !!

أما ما نقله عن الكرجي فغير صحيح وقد بينه السبكي في طبقات الشافعية عند ترجمته للكرجي ، وما جاء فيها :

« ... وقد حكى الحافظ أبو محمد الدمياطي .. وذكر أن هذا الكرجي من أكابر

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

أصحاب الشيخ أبي إسحاق...

ثم قال ابن السمعاني وله قصيدة بائية في السنة شرح فيها اعتقاده واعتقاد السلف تزيد على مائتي بيت قرأتها عليه في داره بالكرج.

قلت : ثبت لنا بهذا الكلام أن ابن السمعاني قال إن لهذا الرجل قصيدة في الاعتقاد على مذهب السلف موافقة للسنة وابن السمعاني كان أشعري العقيدة فلا نعترف بأن القصيدة على السنة واعتقاد السلف إلا إذا وافقت ما نعتقد أنه كذلك وهو رأي الأشعري.

إذا عرف هذا فاعلم أنا وقفنا على قصيدة تعزى إلى هذا الشيخ وتلقب بعروس القصائد في شموس العقائد نال فيها من أهل السنة وباح بالتجسيم فلا حَيَّ الله معتقدها ولا حَيَّ قائلها كائناً من كان وتكلمت فيها في الأشعري أقبح كلام وافتوى عليه أي افتاء...

وأقول أولاً : إنني ارتبت في أمر هذه القصيدة وصحة نسبتها إلى هذا الرجل، وغلب على ظني أنها إما مكذوبة عليه كلها أو بعضها ، والذي يرجح أنها مكذوبة عليه كلها أن ابن الصلاح ترجم هذا الرجل وحكي كلام ابن السمعاني إلا فيما يتعلق بهذه القصيدة فلم يذكره ، فيجوز أن يكون ذلك قد دس في كتاب ابن السمعاني ليصحح به نسبة القصيدة إلى الكرجي وقد جرى كثير مثل ذلك ، ويفيد هذه أيضاً أن ابن السمعاني ساق كثيراً من شعره ولم يذكر من هذه القصيدة بيتاً واحداً ، ولو كان قد قرأها عليه لكن يوشك أن يذكر ولو ببعضها ويختتم أن يكون له ببعضها ، ولكن زدت الأبيات المقتضية للتجسيم وللكلام في الأشاعرة ويفيد ذلك أن أبياتها غير متناسبة فإن بعضها شعر مقبول وبعضها وهو المشتمل على القبائح في غاية الرداء لا يرضى به من يحسن الشعر. انتهى كلام الإمام السبكي.

ولولا مخافة الإطالة لذكرنا تلك القصيدة التي ذكرها السبكي وانتقدتها وذكر أنه

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الأغلب على الظن أنها ملقة موضوعة وأورد القرائن على ذلك وهذا مما يضعف ما قيل في عقيدة الكرجي.

ثم يقول الدكتور سفر:

وبنحو قوله بل أشد منه قال شيخ الإسلام الهروي الأنباري.

التعليق:

هلاً أفتنا يا دكتور سفر عن هذا النقل ، وموضعيه ، وأين قاله؟
علماً أن هذا ليس شافعياً بل هو حنبلي .
وها أنذا أسوق لك ما قاله الحافظ السبكي .

قال الحافظ السبكي :

«كان ابن تيمية مع ميله إليه يضع من هذا الكتاب ، أعني : منازل السائرين : قال شيخنا الذهبي : وكان يرمي أبا إسماعيل بالعظائم بسبب هذا الكتاب ، ويقول : إنه مشتمل على الاتحاد». أ.هـ.

فإذا كان الميزان لديك يا د: سفر هو الشيخ ابن تيمية ، فهل يقبل (بعد قدح ابن تيمية في الرجل بالاتحاد) قوله في تحطئة المنزهة من الأشاعرة؟؟؟

ثم يقول الدكتور سفر:

٣- الحنفية : معلوم أن واضع الطحاوي وشارحها كلاهما حنفيان ، وكان الإمام الطحاوي معاصرًا للأشعري وكتب هذه العقيدة لبيان معتقد الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، وهي مشابهة لما في الفقه الأكبر عنه وقد نقلوا عن الإمام أنه صرخ بـ كفر من قال إن الله ليس على العرش أو توقف فيه ، وتلميذه أبو يوسف كفر بشـ المرسي ، ومعلوم أن الأشاعرة ينفون العلو وينكرون كونه تعالى على العرش ومعلوم أيضًا أن أصولهم مستمدـة منـ بشـ المرسي .

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

التعليق:

أولاً: متن الطحاوي من المتون المعتمدة عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وليس فيها ما يؤيد عقيدة المتمسلفة بل على العكس تماماً.

فمن ذلك قول الإمام الطحاوي: «تعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات».

وقوله: «والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه».

وقال الطحاوي أيضاً: «له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق». وهذا مخالف لكلام من يقول بالقدم النوعي للعالم.

وقال الطحاوى أيضاً في عقيدته «وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وبما فوقه» هكذا ثبت لفظ «وبما فوقه» وخاصة في نسخة الشيخ العلامة الغنيمي الحنفي شارح الطحاوية المتوفى سنة ١٢٩٨هـ.

وقد قامت بعض دور النشر المغرضة بمحذف لفظة «بما» ليثبتوا أن الفوقيّة عائدة على الله لتوافق العبارة معتقدهم مع أن السياق لا يساعد ذلك، لأن الكلام هنا واقع عن استغناه الله سبحانه عنه دون العرش وما فوقه، وأنه بكل شيء محيط.

ثانياً: أما عن شارح العقيدة الطحاوية (ابن أبي العز) فتنقل شيئاً من كلام الأئمة فيه:

قال الشيخ القاري في شرح الفقه الأكبر ص(١٧٢): «والحاصل أن الشارح يقول بعلو المكان مع نفي التشبيه وتبع فيه طائفه من أهل البدعة» اهـ.

وقال أيضاً ص(١٧٢) ما نصه: «ومن الغريب أنه استدل على مذهب الباطل برفع الأيدي في الدعاء إلى السماء...» اهـ.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

قال الحافظ ابن حجر في «إنباء الغمر» (٩٦/٢) :

«وإن العلماء بالديار المصرية خصوصاً أهل مذهبة من الحنفية انكروا ذلك عليه». .

ومن تلك الأمور المستشنعات أن الحافظ قال كما في «إنباء الغمر».

«قوله: يا خير خلق الله، الراجح تفضيل الملائكة إلى غير ذلك...» وذكر الحافظ أيضاً في «إنباء الغمر» (٩٧/٢) أن من أنكر على ابن أبي العز من الحنابلة:

«زين الدين ابن رجب، وتقى الدين ابن مفلح وأخوه...».

ثم لماذا يعرض الدكتور سفر عن كلام ابن الهمام والزبيدي وملا علي القاري وغيرهم؟ ومن المعلوم أن الحنفية ماتريدية.

ثالثاً: ما في الفقه الأكبر يخالف كلام المتمسفة.

وفيه ص(٥٦) ما نصه: «ومعنى الشيء إثباته بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا ضد له ولا ند له ولا مثل له» انتهى.

وجاء أيضاً في «الفقه الأكبر» ص (٥٠) ما نصه:

«ويتكلّم لا كلامنا، ونحن نتكلّم بالآلات والحرروف، والله تعالى يتكلّم بلا آله ولا حرروف، والحرروف مخلوقة وكلام الله تعالى غير مخلوق».

وقال الشيخ ملا علي القاري ص (٢٩) من شرح الفقه الأكبر: «ومبتدعة الحنابلة قالوا: كلامه حروف وأصوات تقوم بذاته وهو قديم، وبالغ بعضهم جهلاً حتى قال: الجلد والقرطاس قد يان فضلاً عن الصحف، وهذا قول باطل بالضرورة ومكابرة للحس، للإحساس بتقاديم الباء على السين في بسم الله، ونحوه».

رابعاً: لقد نسبت إلى الإمام أبي حنيفة أنه صرّح بكفر من قال إن الله ليس على العرش دون أن تذكر المصدر، وصيغة (نقلوا) فيها تضليل.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

فالذى روی ذلك عن أبي حنيفة اثنان، الأول: أبو مطیع البلاخي وهو وضع، قال الذهبي في الميزان (٥٧٤/١):

«قال الإمام أحمد لا ينبغي أن يروي عنه شيء. وعن يحيى بن معين: ليس بشيء.
».«

وأورد أبو مطیع البلاخي هذا الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٣٥/٢) - هندية) وقال: «قال أبو حاتم الرazi: كان مرجئاً كذاباً...».

وذكر الحافظ بأن الذهبي جزم بأن البلاخي وضع حديثاً.

والثاني هو: نوح الجامع، قال العلماء: كان جاماً لكل شيء إلا الصدق، وهو وضع مشهور انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٣٣٣/١٠ وما بعدها).

ثم يقول الدكتور سفر:

٤- الحنابلة: موقف الحنابلة من الأشاعرة أشهر من أن يذكر فمنذ بدء الإمام أحمد «ابن كلاب» وأمر بهجره - وهو المؤسس الحقيقي للمذهب الأشعري - لم يزل الحنابلة معهم في معركة طويلة، وحتى في أيام دولة نظام الملك - التي استطاعوا فيها - وبعدها كان الحنابلة يخرجون من بغداد كل واعظ يخلط قصصه بشيء من مذهب الأشاعرة، ولم يكن ابن القشيري إلا واحداً من تعرض لذلك، وبسبب انتشار مذهبهم وإجماع علماء الدولة سيمها الحنابلة على محاربته أصدر الخليفة القادر منشور «الاعتقاد القادي» أوضح فيه العقيدة الواجب على الأمة اعتقادها سنة ٤٣٣ هـ.

وكذلك يفعل أتباعهم في عصرنا هذا بـ خطبهم الحماسية ومواعظهم وقصصهم وما يسمونه بالكتب الفكرية لثقة قرائهم - من الشباب المتحمس - العماء بهم ولجهل أكثر هؤلاء الشباب بعقيدتهم الصحيحة التي كان عليها سلفهم الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

هذا وليس ذم الأشاعرة وتبديعهم خاصة بأئمة المذاهب المعتبرين، بل هو منقول أيضاً عن أئمة السلوك الذين كانوا أقرب إلى السنة واتباع السلف، فقد نقل شيخ الإسلام في الاستقامة كثيراً من أقوالهم في ذلك، وأنهم يعتبرون موافقة عقيدة الأشاعرة منافياً لسلوك طريق الولاية والاستقامة حتى أن عبد القادر الجيلاني لما سُئل: «هل كان الله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ قال: ما كان ولا يكون».

التعليق:

(١) : أمّا ابن كلاب فقد قال الذهبي (تلמיד ابن تيمية) في ترجمته في «السير»
(١١ / ١٧٥) : «والرجل أقرب المتكلمين إلى السنة بل هو في مناظرِهم» وانظر إلى التعليق في أسفل تلك الصحيفة من «سير أعلام النبلاء».

(٢) : ما كان ي قوله الإمام أحمد في مسائل التوحيد هو ما يقوله الأشاعرة أيضاً على الغالب وابن تيمية ومقلدوه يخالفونه في ذلك! وإنكم بعض الأمثلة على ذلك :

(أ) : كان الإمام أحمد يؤول بعض النصوص في الصفات التي يفيد ظاهرها التجسيم والتشبيه. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٢٧/١٠) :

«روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السمك عن حنبل أنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى 《وَجَاءَ رَبَّكَ》 أَنَّهُ جَاءَ ثَوَابَهُ... ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ : وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غَبَرَ عَلَيْهِ».

ثم قال ابن كثير:

«وَكَلَامُهُ - أَيُّ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - فِي نَفِي التَّشْبِيهِ وَتَرْكِ الْخَوْضِ فِي الْكَلَامِ وَالْتَّمْسِكِ بِمَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَنِ أَصْحَابِهِ».

ب: وفي «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (٢٩٧/٢) أن الإمام أحمد كان

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

يقول في عقيدته :

«والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ، ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش».«

وهذا مخالف لما حاولت إثباته يا د : سفر.

ج: وفي طبقات الحنابلة (٢٩٨ / ٢) أن الإمام أحمد: «أنكر على من يقول بالجسم، وقال إنما الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتاليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجيء في الشريعة ذلك فبطل ».«

وهذا مخالف للذى ذهبت إليه من إثبات العلو الحسي الموهם بالتجسيم.

فهذا الإمام أحمد ينفي التجسيم صراحة!!

والإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقول :

«أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهنم معطل ومقاتل مشبه » كما في «السير» (٧ / ٢٠٢).

(ثانياً): لو علم سفر بأن الإمام البخاري رحمه الله تعالى صاحب الصحيح كان على مذهب ابن كلاب أو كان يستمد مباحثه الكلامية منه لما تفوه بهذا القول !!

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١ / ٤٣٢) ما نصه :

« مع أن البخاري في جميع ما يورده من تفسير الغريب إنما ينقله عن أهل ذلك الفن كأبي عبيد والنضر بن شميل والفراء وغيرهم ، وأما مباحثه الفقهية فغالبها مستمدة له من الشافعى وأبى عبيد وأمثالهما ، وأما المسائل الكلامية فأكثرها من الكرايسى وابن كلاب ونحوهما» انتهى.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

قلت : والكريبيسي وابن كلاب رحهما الله تعالى كانوا يقولان بأن لفظنا بالقرآن مخلوق ، قال الحافظ الذهبي في ترجمة الكريبيسي في « سير أعلام النبلاء » (٨٢ / ١٢) : « ولا ريب أن ما ابتدعه الكريبيسي وحرره في مسألة اللفظ وأنه مخلوق هو حق » انتهى .

وعلى ذلك الحق كان البخاري ومسلم خلافاً للإمام أحمد الذي كان يقول بأن من قال لفظي بالقرآن مخلوق (فهو جهمي) وفي روايات أخرى (فهو كافر). قال الحافظ الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (٥٧٢ / ١٢) في ترجمة الإمام مسلم ما نصه :

« كان مسلم بن الحجاج يظهر القول باللفظ ولا يكتمه فلما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم الاختلاف إليه ، فلما وقع بين البخاري والذهلي ما وقع في مسألة اللفظ ونادى عليه ومنع الناس من الاختلاف إليه حتى هجر - البخاري - وسافر من نيسابور ، قال : فقطعه أكثر الناس غير مسلم بلغ محمد بن يحيى فقال يوماً : ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا ، فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام على رؤوس الناس ثم بعث إليه بما كتب عنه على ظهر حمال ، قال : وكان مسلم يظهر القول باللفظ ولا يكتمه » انتهى .. أ.هـ . بتصرف يسير .

والذي تجدر الإشارة إليه هو أنه لا مخالفة على التحقيق بين الإمام أحمد ومن ذكرنا ، لأن الإمام أحمد قد أراد بالمنع أن يسد باب الفتنة ولا شك أنه يعلم بداهة أن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، على حين رأى غيره ضرورة البيان لئلا يفضي إلى اعتقاد حلول القديم في الحادث كما حصل مع طائفة وهذا اختلاف منهم في تقدير المصلحة .

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

[دحض إدعاء الدكتور سفر رجوع الإمامين الجويني والرازي] ثم يقول الدكتور سفر:

هذا موجز مختصر جداً لحكم الأشاعرة في المذاهب الأربع، فما ظنك بحكم رجال الجرح والتعديل مما يعلم أن مذهب الأشاعرة هو رد خبر الأحاديث جملة، وأن في الصحيحين أحاديث موضوعة أدخلها الزنادقة، وغيرها من العوام، وانظر إن شئت ترجمة إمامهم المتأخر الفخر الرازي في الميزان ولسان الميزان.

وهاهنا حقيقة كبرى أثبتتها علماء الأشعرية الكبار بأنفسهم – كالجويني وابن أبي المعالي والرازي والغزالى وغيرهم – وهي حقيقة إعلان حيرتهم وتوبتهم ورجوعهم إلى مذهب السلف، وكتب الأشعرية المتعصبة مثل طبقات الشافعية أوردت ذلك في ترجمتهم أو بعضه فما دلالة ذلك؟

إذا كانوا من أصلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أي شيء رجعوا؟ ولماذا رجعوا؟ وإلى أي عقيدة رجعوا؟

التعليق:

الجويني رجوعه إنما كان إلى التفويض وهو أحد المسلكين اللذين يحيزهما الأشاعرة وهذه كتب الجويني بين أيدينا وأيديهم فليأتونا ببرهان كلامهم إن كانوا صادقين **ويذَّعُونَ أَيْضًا: أَنَ الْإِمَامَ الرَّازِيَ تَرَاجَعَ عَنْ مِذَهَبِ الْأَشَاعِرَةِ** في مسألة الصفات والنصوص المعلومة التي يجري فيها الخلاف.

هذا هو مدعاهم.

ويجب علينا نحن قبل أن نقول كلمتنا أن نوضح مدعاهم هذا ثم بعد اتضاحه فإننا أجزم أن تهافته سيظهر لكل من له عقلٌ سليم.
أولاً: يُجَبُ أَنْ تُعرَّفَ بِمِذَهَبِ الْأَشَاعِرَةِ فِي هَذِهِ الْمَسَأَةِ.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

فنقول :

مذهب أهل السنة والجماعة كلهم ومنهم الأشاعرة أن الله تعالى لا يشبه أحداً من خلقه، لا في ذاته ولا في صفاتاته ولا في أفعاله. وإن كل ما خطر على قلب بشر من صورة أو كيفية فيجب نفيه عنه تعالى، لأن الصورة والكيف متنفيان في الأصل عنه تعالى.

وهم يقولون بتنزيه الله تعالى عن صفات البشر والحوادث والأجسام وكل ما يلزم عن كون الشيء جسماً وهي لوازم الأجسام مثل: الكون في الأمكنة والحركة والحجم والكيف والتركيب وغير ذلك.

وبناءً على هذا فالنصوص التي نقرأها في الكتاب والسنة، فيتوهم منها بعض الناس معنى لا يليق بالله تعالى مما مضى وغيره، ويقولون إن هذا هو الظاهر من هذه النصوص، فنقول: ليس هذا هو الظاهر، بل هذا هو ما تخيله أنت ظاهراً، ولا ظاهر إلا الحق، فتعالى الله تعالى أن يجعل كلامه ظاهراً في أمرٍ باطلٍ، وإنما الباطل هنا هو التوهم الذي ظهر في نفسك، فالظاهر إنما هو وهمٌ قام في فكر إنسانٍ تصور أن هذا المعنى هو الظاهر من النص.

فلما ظهرت هذه المشكلة عند فساد تذوق الناس للغة العربية وضعف عقائدهم في الله تعالى وغلبة الأمور الحسية والتوجهات النفسية، احتاج العلماء إلى أسلوب يعالجون به هذه المشكلة، ويكون هذا الأسلوب واضحاً تميزاً مدركاً مضبوطاً بقواعد تنسجم مع اللغة والأمور الصحيحة المعلومة من الدين بالضرورة، ويكون سهلاً ودقيقاً في نفس الوقت، ملائماً مع ما كان عليه السلف الصالح المشهود لهم بالخيرية، ملائماً لطبع عامة الناس قدر الاستطاعة.

فتوصل علماء الأمة من الأشاعرة إلى توضيح مذهب محقق لكل هذه الشروط متكون من مرتبتين:

الأولى: وهي الأصل سموها التفويض.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

والثانية: وهذه لا يلجا إليها إلا عند الحاجة سموها التأويل، كلا هاتين المرتبتين حقٌ ولا تعارض بين الواحدة والأخرى.

ومعنى التفويض: هو تفويض هذه النصوص إلى الله تعالى وعدم الخوض فيها والإيمان بها على سبيل الإجمال، أي الإيمان بما علم الله أنه الحق، وإماراتها كما جاءت بلا كيف ولا معنى، مع تنزيه الله تعالى عن الاتّصاف بشيء من سمات نقص كما مر، وهذا هو الذي كان عليه جمهور السلف، كانوا لا يخوضون في هذه الأمور ولا يتكلمون فيها، بل ينهون عامة الناس عن الكلام فيها، ويأمرونهم بتتنزيه الله تعالى عن سمات النقص.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠٥/٨) : والمحفوظ عن مالك رحمه الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: **أمرها كما جاءت بلا تفسير.**
ا.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٣٤٣/١٣) : وأسنده البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف الله به نفسه في كتابه **فتفسيره تلاوته والسكوت عنه** ومن طريق أبي بكر الضبعي قال مذهب أهل السنة في قوله الرحمن على العرش استوى قال **بلا كيف** والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل ا.هـ

وورد في طبقات الحنابلة (٣٩١/٢) في ذكر عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رض: كان الإمام أحمد - رحمه الله - تعالى يقول: الله تعالى يدان، وهو ما صفة له، ليستا بجارحتين **وليسا بمركبتين ولا جسم** ولا من جنس الأجسام، ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح، ولا يقاس على ذلك، ولا له مرفق ولا عضلة، ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق به القرآن الكريم ا.هـ

وقال ابن الجوزي في مجالسه في المشابهات (ص ٥٩) يروى أن أحمد بن حنبل رض

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

سأله ولده عبد الله عن قول رسول الله ﷺ (خَمَرْتُ طِينَةً آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا) فقال له: يا بني، إذا سألت عن اليد في جهة الخالق فينبغي أن تقطع يدك أو تخربها في كمك.....إلخ.

والمرتبة الثانية وهي التأويل ومعناها: هي أن تصرف اللفظ الذي توهم بعض الناس أن ظاهره هو التجسيم والتشبيه وإثبات الجوارح والأدوات والحركات وغير ذلك من معان باطلة إلى معنى صحيح لقرينة، وقد بيّنا نحن كيف توهم هؤلاء الناس هذا الوهم، ولما كان بعض الناس لا يكتفون بالطريق الإجمالي في تنزيه الله كما مر في مرتبة التفويض، إما لفساد معتقدهم كالخشوية، ولما كانت هذه الأصناف موجودة في الناس ولا يخلو زمان منها، احتاج إلى أسلوب تفصيلي لصدّ مَنْ كانت هذه حالة. يتم بهذا الأسلوب تفهيمه أن اللفظ ليس ظاهره ما فهمته ولا هو ما تبادر إلى ذهنك أو توهمته، مما هو تشبيه محض مضاد للتوحيد، بل الظاهر هو معنى يليق بالله تعالى، ويتم بيان هذا الأمر لهؤلاء الناس بواسطة أسلوب التأويل الذي حاصله: أنه صرف اللفظ عن ظاهره المتوهם لدى الأنفس الخبيثة أو الجلفة إلى معنى صحيح لقرينة، وهذه القرينة إما أن تكون لفظية أو حالية.

وتفصيل هذا الأسلوب موضح في المطولات، وقد جأ بعض السلف إلى هذا الأسلوب لما واجهوا الحالات التي ذكرناها.

وما مضى تبين أن كلا من الأسلوبين أو المرتبتين حق صريح ووارد عن السلف الصالح ولا تناقض بينهما؛ لأنهما في الحقيقة يكمل بعضهما بعضا.

ويلاحظ من شرحتنا لهذين الأسلوبين أنَّ الأصل هو التفويض، ولا يلْجأ إلى الثاني إلا لأسباب إما تفهم قاصر عن إدراك الحق أو ردّ شبهة لمشكك خبيث الطبع والقصد؛ لغاية إعزاز الدين وإظهار أنه الحق الذي لا عوج فيه.

نعود إلى الكلام عن الإمام فخر الدين الرازي، فنقول: هذا هو الذي كان

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

عليه فخر الدين الرازي ، وهذا هو الذي مات عليه الإمام ، لم يحدث أنه تراجع عن هذا كله ، ولا عن بعض منه . وبيان هذا كما يلي :

كان الإمام فخر الدين في بداية حياته ولدى اشتهره وقبل أن تحيى وفاته كثير المناظرات مع المبتدةءة من الحشووية وغيرهم من ضل عن فهم المعنى الحق ، وكان يجول في البلدان يتحدى من خالف مذهب الإسلام فيناظره ويبين له سقم كلامه وضعف حجته وبيانه .

ومعظم كتبه التي كتبها في حياته إما كانت ردًا على الحشووية أو الفلسفية أو على من غلط من المعتزلة وغيره من الناس .

ولم يصمد أمامه إنسان ، فأخرس الألسنة وأزال الباطل وثبت دعائم الحق ، على حسب الطاقة ، رحمه الله .

والرجل عندما يكون هذا حاله لا بد أن يتمسك بأسلوب التأويل ، الذي مرّ بيانه فلا يمكن عند المناظرة مع هؤلاء الناس أن يقول لهم -خصوصاً الحشووية لأن الخلاف إنما هو معهم في هذه المسألة- فوضوا العلم إلى الله تعالى ، كيف وهم يعتقدون أن ما يقولون به إنما هو كلام الله تعالى والظاهر الصريح الذي لا يجوز العدول عنه إلى غيره ، بل لا بدّ منْ بيان أن الأمر الذي يدعون أنه ظاهرٌ واضحٌ ، هو في الحقيقة باطل لا شك في هذا ، وهذا لا يتم إلا باستعمال أسلوب التأويل ، فهو الآلة التي تذبح بها خراف الباطل . وهذا هو ما كان عليه الإمام في عامة كتبه لأن حالة الناس الذين كان يواجههم كانت تفرض عليه ذلك .

فلما اقتربت الوفاة ، وحان الانتقال إلى الدار الآخرة ، عاد الإمام الفخر الرازي إلى الأصل في مذهبه (التفويض) ، لأنَّ مطلوب المرء في تلك الحال إنما هو السلام ، وتفويض الأمر إلى الله تعالى هو السلام .

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

والناظر في وصيته المذكورة لا يرى فيها تبرياً من مذهبه الذي كان عليه، بل يرى منها تقويض أمره إلى الله تعالى.

ونزيد هنا كلاماًً من أراد أن يستفيد:

الإمام الرازي كان يدعو إلى التقويض حتى قبل كتابة هذه الوصية أي في أثناء مصاولته للناس ومناظرته معهم، وعلى هذا لا يكون هناك أي وجه لكلام المعارض.

ودليل هذا أنه قال في كتاب المعالم: «... فلم يبق إلا الإقرار بمقتضى الدلائل العقلية القطعية، وحمل الظواهر النقلية إما على التأويل وإما على تقويض علمها إلى الله سبحانه وتعالى، وهو الحق» هذا كلامه في هذا الكتاب، وهو صريح أنه لا يقول بحرمة التقويض ولا بحرمة التأويل، ولكنه ترجح لديه أن التقويض هو الحق أي الأرجح وذلك لما ذكرناه من أنه الإسلام.

وذكر أيضاً هذا المعنى في كتاب الأربعين «... فلم يبق إلا أن تصدق الدلائل العقلية ويشتغل بتأويل الظواهر النقلية أو بفوض علمها إلى الله» هذا هو كلامه الذي يقطع كلام كل إنسانٍ بعده، فالأشاعرة عندهم فيما بينهم خلاف هل التأويل أرجح أو التقويض مع اتفاقهم على تنزيه الله تعالى. أما خلافهم مع غيرهم من الحشوية فهو دائر بين التنزيه الذي يقول به الأشاعرة الذين هم أهل السنة، وبين التشبيه والتجسيم.

وبهذا يكون قد ظهر بحول الله وقوته تهافت من ادعى أنَّ الإمام الرازي قد تراجع عن مذهبة، وبأنَّ هذا ما هو إلا كذب على أهل الحق والحمد لله رب العالمين.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

[ابن الجوزي موافق للأشاعرة في المعتقد والنwoي أشعري
أما الحافظ فكل الدنيا تعلم أشعاريته وإمامته في علم الكلام
لكن الدكتور يراه متذبذباً !]
ثم يقول الدكتور سفر:

وقد كان من الخنبلة من ذهب إلى أبعد من هذا كابن الجوزي وابن عقيل وابن الزاغوني، ومع ذلك فهؤلاء كانوا أعداء ألداء للأشاعرة، ولا يجوز بحال أن يعتبروا أشاعرة فما بالك بأولئك.

وليكن معلوماً أن ابتداء أمر الأشاعرة أنهم توسلوا إلى أهل السنة أن يكفوا عن هجرهم وتبعيدهم وتضليلهم وقالوا: نحن معكم ندافع عن الدين وننازل الملحدين.

التعليق:

إن الأشاعرة هم الأغلبية، ولم يتتوسلوا إلى أحد، بل هم أهل السنة، وقولك هذا من المخادعة والمخاتلة، فلم لم توضح لنا متى عادى هؤلاء العلماء الأشاعرة؟ وأين مصدرك في هذا الإدعاء؟.

أما ابن الجوزي فقد كان إماماً على عقيدة أهل السنة والجماعة والمهم هو موافقته للأشاعرة في المعتقد وهو موافق لهم كما في (دفع شبه التشبيه) و(زاد المسير).

بيان من هم الأشاعرة:

قال الإمام الحافظ التاج السبكي في كتابه «معيد النعم ومبيد النقم» ص (٦٢) مبيناً من هم الأشاعرة:

«هؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الخنبلة والله الحمد في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمة الله، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الاعتزال، ورفاع من الخنابلة لحقوا بأهل التجسيم..».

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي إمام الشافعية في وقته وصاحب كتاب «المذهب» الذي عليه وعلى شرحه للإمام النووي رحمه الله تعوييل الشافعية ما نصه :

«فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المتنسبين إلى الإمام أبي الحسن الأشعري عليه السلام فهو كافر. ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفّرهم فيكون كافراً بتكفيره لهم لما روى عن النبي ﷺ وأله وسلم أنه قال: «وما كفّر رجلٌ رجلاً إلا باه به أحدهما...»»⁽¹⁾

وأنا لا أوفق الشيخ على جلالة قدره في تكبير أحد من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله سائلًا المولى أن يغفر لي وله ولسائر المسلمين.

إثبات أشعرية النووي:

قال في «شرح صحيح مسلم» (١٩/٣) :

«اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين، أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزله عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق، وهذا القول مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققיהם وهو أسلم. والقول الثاني: وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ذات رياضة في العلم».

«والله تعالى مُنْزَهٌ عن الجسم والحد..».

(١) انظر شرح اللمع للإمام الشيرازي طبع دار الغرب / الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١١١.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

وقال الإمام الحافظ السبكي في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » (١٩/٢) ما نصه :

« وقد وصل حال بعض المجمسة في زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ محى الدين النووي وحذف من كلام النووي ما تكلّم به على أحاديث الصفات ؛ فإن النووي أشعرى العقيدة، لم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه، وهذا عندي من كبائر الذنوب، فإنه تحريف للشريعة، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من الصفات، فقبح الله فاعله وأخزاه.. » أ.ه.

وأيضاً فالإمام النووي رحمه الله تعالى يقول في عدّة مواضع في كتبه « أصحابنا المتكلمون» ومن ذلك قوله في « شرح المذهب » المجموع (١/٧٤) :

« قال أصحابنا المتكلمون : « التوفيق : خلق قدرة الطاعة ، والخذلان : خلق قدرة المعصية ، والموفق في شيء لا يعصي في ذلك الشيء إذ لا قدرة له على المعصية ، قال إمام الحرمين : والعصمة هي التوفيق .. » أ.ه.

كلام الدكتور سفر في مفخرة المسلمين الحافظ ابن حجر العسقلاني:

أما الحافظ ابن حجر فيكفي أن الدنيا تعلم أشعاريته وإمامته في علم الكلام فيكفي أن تعلم ما قاله الدكتور سفر: ولو قيل إن الحافظ - رحمه الله - كان متذبذباً في عقيدته لكن ذلك أقرب إلى الصواب كما يدل عليه شرحه لكتاب التوحيد والله أعلم أ.ه.

والكلام لا يحتاج إلى تعليق!!!

ومن المناسب أن نبين هنا أن الدكتور سفر يعمل بطريقة رمتني بدائها وانسلت.

وسنحاول في الفقرة التالية بيان معنى عقيدة التشبيه .

بيان المقصود بالتشبيه والتجسيم التشبيه لغة واصطلاحاً: التشبيه في اللغة:

الشَّبَهُ و الشَّبَهُ و الشَّبَهِيُّ: المثل، والجمع أشباه. وأشباه الشيء الشيء: ماثله. وفي المثل: من أشبه أباه بما ظلم، وأ شبهاه فلاناً و شابهته و اشتبه على و تشابه الشيطان و اشتبها: أشبه كل واحد صاحبه. وفي التنزيل: (مُشْتَبِهًَا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) [الأنعام: من الآية ٩٩]. وشبهه إياه و شبهه به ماثله. والمشبهات من الأمور: المشكلات. والمشابهات: المتماثلات. وتشبه فلان بكذا. والتشبيه: التمثيل^(١).

وعلى هذا فالتشبيه: «هو إثبات المماثلة بين الله تعالى وبين شيء من خلقه بوجه من الوجه». وقولنا: بوجه من الوجه قيد للاحتراز عن انحصر التشبيه في المماثلة من كل وجه، بل يكفي لوقوعه وقوع التمثيل ولو في صفة واحدة، فالقول به خطير شديد.

(١) لسان العرب - ابن منظور ج ٣١ ص ٥٠٣ : مادة: شبه.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

قال ابن البناء البغدادي الحنبلي : وأما المشبهة والمجسمة فهم الذين يجعلون صفات الله عز وجل مثل صفات المخلوقين⁽¹⁾.

ولشناعة أمر التشبيه تبرأ السلف الصالح من التشبيه وأهله ونزعوا عقائدهم، وأقول لهم في صفات الله سبحانه عن هذه الجريمة التكراء.

وقد ساق الإمام البيهقي في سننه ما يفيد هذا المعنى مثل :

- أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو بكر محمد أحمد بن بالويه ثنا محمد بن بشر بن مطر ثنا الميسى بن خارجه ثنا الوليد بن مسلم قال : سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثورى والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه فقالوا : أمروها كما جاءت بلا كيفية⁽²⁾.

وقال البيهقي : (أخبرنا) أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا محمد أحمد بن عبد الله المزني يقول حديث النزول قد ثبت عن رسول الله ﷺ من وجوه صحيحة وورد في التنزيل ما يصدقه وهو قوله تعالى وجاء ربكم والملك صفا والننزل والجنة **صفتان منفيتان عن الله تعالى من طريق الحركة والانتقال من حال إلى حال بل هما صفتان من صفات الله تعالى بلا تشبيه جل الله تعالى عمما تقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها علوا كبيرا** قلت : وكان أبو سليمان الخطابي رحمه الله يقول إنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو تدل من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت وهذه صفة الأجسام والأشباح فأما نزول من لا تستولى عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوجهة فيه وإنما هو خبر عن قدرته ورأفته بعباده وعطفه عليهم واستجابته دعاءهم ومغفرته لهم يفعل ما يشاء لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على أفعاله كمية سبحانه

(١) (المختار في أصول السنة ص ٧٧٧ ط: مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة).

(٢) (سنن البيهقي ٢/٣). أ.ه

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير⁽¹⁾.

ولنقف عند بعض الأمور في هذا النص منها:

أولاً: قوله: (التي جاءت في التشبيه...)، يفيد صحة ما ذكره علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، من أنَّ هذه النصوص موهمة للتتشبيه إذا حملت على ظاهرها.

قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

فقوله أوهم التشبيها، مساو لقوله: هذه الأحاديث التي جاءت في التشبيه.

ثانياً: قولهم (أمروها كما جاءت.....).

هذه العبارة تفهم على وجهها الصحيح إذا عرفنا ما هو المقصود بإمارتها أو المرور عليها كما جاءت، فالإمرار في لغة العرب يعني المجاوزة وعدم التعمق أو التأمل في الشيء الذي نمر عليه، يؤيده ما ذكره علماء اللغة في تفسير هذه المادة (مرر)، فقد ورد في معاجم اللغة:

مرَّ عليه وبه يمرُّ مرًاً أي اجتاز. ومرَّ يمرُّ مرًاً ومروراً: ذهب واستمر مثله. قال ابن سيده: مر يمر مراً ومروراً جاء وذهب ومر به ومره: جاز عليه وهذا قد يجوز أن يكون مما يتعدى بحرف وغير حرف ويجوز أن يكون مما حذف فيه الحرف فما وصل الفعل وعلى هذين الوجهين يحمل بيت جرير:

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم عليٌ إِذَا حرام

(1) (الستن الكبيرى للبيهقي ٢/٣).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾⁽¹⁾ فمررت به أي استمررت به يعني المني قيل: قعدت وقامت فلم يثقلها⁽²⁾. ومعنى هذا أن إمارتها يقتضي مجاوزتها وعدم الوقوف عليها وترك علم معناها لله تعالى، وهذا هو التفويض الذي عليه السلف.

وقال الذهبي⁽³⁾: والمحفوظ عن مالك رحمة الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: **أمرها كما جاءت بلا تفسير**. ا.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح⁽⁴⁾: وأسند البيهقي بسنده صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة قال كل ما وصف الله به نفسه في كتابه **فتفسيره تلاوته والسکوت عنه**.

ومن طريق أبي بكر الضبي قال مذهب أهل السنة في قوله الرحمن على العرش استوى قال **بلا كيف** والآثار فيه عن السلف كثيرة وهذه طريقة الشافعية وأحمد بن حنبل ا.هـ

إذا علم هذا تبين غلط من قال: إن التفويض الذي عليه السلف هو علم المعنى وتفويض الكيف، لأن الذي علم المعنى لا يقال له فوض، وكيف يفوض شيئاً علم معناه؟ فهذا تناقض، يضاف إليه مخالفة السلف في إثبات الكيف لله تعالى، فيبينما نرى تضاد نصوص السلف صريحة في نفي الكيف عن ذات الله وصفاته، نرى المشبهة يتبنون الله تعالى كيما يفوضون معرفته لله !!!، وهذا يتبيّن من ثالثاً.

وهذا لا ينفي الفهم الإجمالي، فنعم للفهم الإجمالي ولا للفهم

(١) [الأعراف: من الآية ١٨٩].

(٢) (تاج العروس للزبيدي، ولسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري، مادة: مر).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/٥١٠).

(٤) فتح الباري (١٣/٤٣).

التكيفي.

ثالثاً: قولهم (بلا كيفية)، يفيد نفي الكيف عن الله تعالى وعن صفاته العليّة.

فالله سبحانه وتعالى لا كيف لذاته العليّة، ولا كيف لصفاته العليّة، كما دل عليه خبر البيهقي السالف ويضاف إليه ما ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩٠/٦) عن ربيعة بن عبد الرحمن شيخ الإمام مالك: وقال أحمد بن عبدالله العجلي في تاريخه: حدثني أبي قال: قال ربيعة: وسئل كيف استوى؟ فقال: **الكيف غير معقول**، وعلى الرسول البلاغ، وعليها التصديق. ا.هـ.

وذكره الحافظ في الفتح من رواية اللالكائي عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، فقال: وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر. ا.هـ^(١).

ما رواه البيهقي قال:

(وأخبرنا) أبو بكر أحمد بن محمد بن الحارث الفقيه أباً أبو محمد بن حيان ثنا إسحاق بن أحمد الفارسي ثنا حفص بن عمر المهرقاني ثنا أبو داود وهو الطيالسي قال كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحددون ولا يشبهون ولا يمثلون يرونون الحديث **ولا يقولون كيف** وإذا سئلوا أجابوا بالأثر، وقال الإمام الترمذى في سنته^(٢).

وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث - حديث الصدقـة - وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزل الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا قد

(١) فتح الباري (١٣ / ٣٤٢).

(٢) كتاب الزكاة باب ما جاء في فضل الصدقـة رقم (٥٩٨).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

ثبتت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهם **ولا يقال كيف** هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث **أمروها بلا كيف** وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. ا.هـ.

فتأمل قوله : **ولا يقال كيف**.

وقال ابن السمعاني في الأنساب : (٢٧٨ / ٥) :

قال البصيري : سمعت أبا الحسين أحمد بن الحسين الخفاف يقول : سمعت الشيخ الجليل أبا محمد المزنبي يقول : حديث النزول قد صح ، والإيمان به واجب ، ولكن ينبغي أن يعرف أنه كما لا **كيف لذاته لا كيف لصفاته**. ذكره الحاكم أبو عبد الله الحافظ في تاريخ نيسابور فقال : أبو محمد المزنبي ، كان إمام أهل العلم والوجوه وأولياء السلطان بخراسان في عصره بلا مدافعة . ا.هـ.

فهذه نصوص السلف الصالحة التي تنفي الكيف عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأصرحها قول أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها : **الكيف غير معقول ، وغير المعقول هو المستحيل في ذاته** ، ولا شك أن هذه الأمور الاعتقادية مما لا مجال لاجتهاد الصحابة فيها ، فيكون مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

فمن قال إن السلف علموا معاني هذه الصفات ، وفوضوا كيفها الله تعالى فقد غلط على السلف الصالحة حتى مذهبهم حكایة تختلف نصوص التفویض التام والإمار والسكوت وعدم الخوض أو التفسير هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد خالف السلف والخلف في مسألة الكيف التي نفاهما السلف نفياً قاطعاً لا يحتمل التأويل.

إذا علمت هذا فاعلم أن التجسيم فرع عن التشبيه ونوع من أنواعه.

فالتجسيم : هو نسبة تعلی إلى الجسمية والتحيز والحد... إلخ.

فالجسم في اللغة : جماعة البدن أو الأعضاء من الناس والإبل والدواب وغيرهم

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

من الأنواع العظيمة الخلق (لسان العرب لابن منظور مادة: جسم). وقد صرَح السلف الصالح بالتبُّرُّ من نسبة الجسمية لله تعالى، كما صرَحوا بالتبُّرُّ من التشبيه، بل كل ما ورد في تشنيعهم على المشبهة صالح لإيراده على المحسنة، ضرورة أن نفي الأعم يُستلزم نفي الأخص، والتشبيه أعم كما سيأتي.

ويدخل في التجسيم إثبات الحد لله تعالى، وإثبات ظواهر آيات الصفات أو الإضافات وحملها على المعنى اللغوي المقول على المخلوق مع عدم نفي المماثلة والجسمية ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه ويقدس، ورد في طبقات الحنابلة (٣٩١/٢) في ذكر عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رض:

كان الإمام أحمد - رحمه الله - تعالى يقول : الله تعالى يدان ، وهمما صفة له ، ليستا بجارحتين وليستا بمركبتين ولا جسم ولا من جنس الأجسام ، ولا من جنس المحدود والتركيب والأبعاض والجوارح ، ولا يقياس على ذلك ، ولا له مرفق ولا عضلة ، ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد إلا ما نطق به القرآن الكريم ا.هـ

انظر إلى قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى (ولا فيما يقتضي ذلك من إطلاق قولهم يد. إلخ) فمفهوم كلامه أن هذا اللفظ على ظاهره وإطلاقه له مفهوم وظاهر متบรร إلى الذهن من الوضع اللغوي والاستعمال البشري لهذا المفهوم له لوازمه ذهنية مثل التبعيض: المرفق - العضلة... إلخ لا تليق بذات الله تعالى، فأهل السنة والجماعة ينفون - ولا يتوقفون أبداً - هذه اللوازيم الباطلة عن صفاته تعالى، فأين هذا من يدعى أن مذهب السلف هو فهم هذه الآيات على ظواهرها المتبدلة إلى الذهن من الوضع اللغوي، وكأنه فهم أن مراد السلف من الإجراء على الظاهر هو الحمل على المعنى اللغوي العام، وهذا ينفيه الإمام أحمد صراحة بقوله السالف: (ولا فيما يقتضي إلخ) وينبغي أن يفهم إجراء الآيات على ظواهرها في ضوء قولهم (أمروها كما جاءت، وقرائتها تفسيرها، وأيضاً قول الإمام أحمد إلا ما نطق به القرآن).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وقال أبو الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد: وأنكر أحمد على من قال بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم - يعني الجسم - على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله سبحانه وتعالى خارج عن ذلك، ولم يجيء في الشريعة ذلك. ا.هـ نقله الحافظ البهقي في مناقب الإمام أحمد، وفي طبقات الحنابلة لأبي يعلى: أن الإمام أحمد كان يقول: والله تعالى لم يلحقه تغير ولا تبدل ولا يلحقه الحدود قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش ا.هـ الطبقات (٢٩٧/٢)، وقال الإمام ابن الجوزي في مجالسه في المتشابهات (ص ٥٤): وليس الخلاف في اليدين وإنما الخلاف في الجارحة، وليس الخلاف في الوجه وإنما الخلاف في الصورة الجسمية، وليس الخلاف في العين، وإنما الخلاف في الحدقة. ا.هـ، وقال ابن الجوزي في المصدر السابق (ص ٥٩) يروي أن أحمد بن حنبل رض سأله ولده عبد الله عن قول رسول الله صل (خَمَرَتْ طِينَةُ آدَمَ بِيَدِي أَرْبَعِينَ صَبَاحًا) فقال له: يا بني، إذا سألت عن اليدين في جهة الخالق فينبغي أن تقطع يدك أو تخربها في كمك.....إخ.

فأين يذهب من يدعي أن السلف الصالح توقفوا في إثبات أو نفي الجسمية لله تعالى؛ لأن النصوص لم ترد بذلك بنفي ولا إثبات، وها هي نصوص السلف ناطقة بكذب دعواه وبطلانها، حيث صرحا بذم الأعم وهو التشبيه، وذم الأخص وهو التجسيم، ونسدوا قائله إلى التبديع بل إلى التكفير والخروج من ملة المسلمين.

وأعود إلى ما نقلته عن إمام الصوفية (الجيلازي) فأقول: نعم فهذا هو صحيح اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل ولا يكون ولیاً بلا هذا الاعتقاد.

وسأعرض لك فيما يلي مجموعة من النقول عن كبار الصحابة والتبعين وأئمة المذاهب الأربعه وغيرهم والتي تدل على تنزيه الله تعالى عن المكان والجهة.

قال الصحابي الجليل والخليفة الراشد سيدنا علي رض (٤٠ هـ) ما نصه: (كان -

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الله - ولا مكان ، وهو الآن على ما - عليه - كان أ.ه.. أي بلا مكان^(١).

وقال أيضاً : «إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته » أ.ه^(٢).

وقال أيضاً : «من زعم أن إلهاً محدود فقد جهل الخالق المعبد » أ.ه.. (المحدود :
ما له حجم صغيراً كان أو كبيراً)^(٣)

وقال التابعي الجليل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم
(٩٤ هـ) ما نصه : «أنت الله الذي لا يحويك مكان » أ.ه^(٤).

وقال أيضاً : «أنت الله الذي لا تحد فتكون محدوداً » أ.ه..^(٥)

وقال الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين
رضوان الله عليهم (١٤٨ هـ) ما نصه : «من زعم أن الله في شيء ، أو من شيء ، أو على
شيء فقد أشرك . إذ لو كان على شيء لكان محمولاً ، ولو كان في شيء لكان محصوراً ، ولو
كان من شيء لكان محدثاً - أي مخلوقاً» أ.ه^(٦).

قال الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه (١٥٠ هـ) أحد مشاهير علماء
السلف إمام المذهب الحنفي ما نصه : «والله تعالى يرى في الآخرة ، ويراه المؤمنون وهم
في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كمية ، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة » أ.ه..^(٧)

وقال أيضاً في كتابه الوصية : «ولقاء الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا

(١) الفرق بين الفرق لأنبياء منصور البغدادي (ص/٣٣٣).

(٢) الفرق بين الفرق لأنبياء منصور البغدادي (ص/٣٣٣).

(٣) حلية الأولياء : ترجمة علي بن أبي طالب (١/٧٣).

(٤) إتحاف السادة المتقيين (٤ / ٣٨٠).

(٥) إتحاف السادة المتقيين (٤ / ٣٨٠).

(٦) ذكره القشيري في رسالته المعروفة بالرسالة القشيرية (ص/٦).

(٧) ذكره في الفقه الأكبر، انظر شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (ص/١٣٦ - ١٣٧).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

جهة حق»^(١). أ.ه.

وقال أيضًا: «قلت: أرأيت لو قيل أين الله تعالى؟ فقال - أبي أبو حنيفة - : يقال له كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خلق ولا شيء، وهو خالق كل شيء»^(٢). أ.ه..

وقال أيضاً: «ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو حافظ العرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان يحتاج لما قدر على إيجاد العالم وتديره كالمخلوقين، ولو كان يحتاجا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»^(٣). أ.ه..

وقال الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعي رض إمام المذهب الشافعي (٢٠٤ ص) ما نصه: «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبدل في صفاته»^(٤). أ.ه..

وأما الإمام المجتهد الجليل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ) رض إمام المذهب الحنفي وأحد الأئمة الأربعة، فقد ذكر الشيخ ابن حجر الهيثمي أنه كان من المترفين لله تعالى عن الجهة والجسمية، ثم قال ابن حجر ما نصه: «وما اشتهر بين جهله المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشيء من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه»^(٥). أ.ه..

(١) الوصية: (ص / ٤)، ونقله ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص / ١٣٨).

(٢) الفقه الأبسط ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة (ص / ٢٥).

(٣) كتاب الوصية، ضمن مجموعة رسائل أبي حنيفة (ص / ٢)، وملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر (ص / ٧٥) عند شرح قول الإمام: ولكن يده صفتة بلا كيف".

(٤) إتحاف السادة المتقن (٢٤ / ٢).

(٥) الفتاوي الحديبية (ص / ١٤٤).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وكذا كان على هذا المعتقد الإمام شيخ المحدثين أبو عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح (٢٥٦ هـ) فقد فهم شراح صحيحه أن البخاري كان ينزعه الله عن المكان والجهة.

وقال الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي (٣٢١ هـ) في رسالته (العقيدة الطحاوية) ما نصه: «وتعالى - أَيُّهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ - عَنِ الْحَدُودِ وَالْغَaiَاتِ وَالْأَرْكَانِ وَالْأَعْضَاءِ وَالْأَدْوَاتِ، لَا تَحْوِيهِ الْجَهَاتُ السَّتُّ كَسَائِرِ الْمُبَدِّعَاتِ» أ.هـ..

وقال الحافظ محمد بن حبان (٣٥٤ هـ) صاحب الصحيح المشهور بصحيحة ابن حبان ما نصه: «الحمد لله الذي ليس له حد محدود فيحتوى، ولا له أجل محدود فيفني، ولا يحيط به جوامع المكان ولا يشتمل عليه توادر الزمان»^(١)

وقال أيضاً ما نصه: «كَانَ - اللَّهُ - وَلَا زَمَانٌ وَلَا مَكَانٌ» أ.هـ.^(٢)

وقال أيضاً: «كَذَلِكَ يَنْزَلُ - يَعْنِي اللَّهُ - بِلَا آلَةٍ وَلَا تَحْرِكٍ وَلَا انتِقالاً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ» أ.هـ.^(٣)

وقال أيضاً: (وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَتَكَلَّمُ كَمَا شَاءَ بِلَا آلَةٍ كَذَلِكَ يَنْزَلُ بِلَا آلَةٍ وَلَا تَحْرِكٍ وَلَا انتِقالاً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يَجِزْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ يَبْصِرَ كَبْصَرَنَا بِالأشْفَارِ وَالْحَدَقِ وَالبَيْاضِ بَلْ يَبْصِرُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ وَيَسْمَعُ بِلَا أَذْنِينِ وَسَمَاخِينِ وَالْتَّوَاءِ وَغَضَارِيفِ فِيهَا بَلْ يَسْمَعُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ وَكَذَلِكَ يَنْزَلُ كَيْفَ يَشَاءُ بِلَا آلَةٍ أَنْ يَقَاسِ نَزْوَلُهُ إِلَى نَزْوَلِ الْمَخْلُوقِينَ كَمَا يَكِيفُ نَزْوَلَهُمْ جَلَّ رَبُّنَا وَتَقَدَّسَ مِنْ أَنْ تَشَبَّهَ صَفَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنْ صَفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ) [صحيح ابن حبان ٣/٢٠٠]

(١) الثقات (١/١).

(٢) صحيح ابن حبان، انظر الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٨/٤).

(٣) المصدر السابق (٢/١٣٦).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

وقال أيضاً تعليقاً على حديث : "عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال ثم يلقى في النار فتقول هل من مزيد حتى يضع الرب جل وعلا قدمه فيها فتقول قط قط"

قال أبو حاتم (ابن حبان) : (هذا الخبر من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة وذلك أن يوم القيمة يلقى في النار من الأمم والأمكنته التي عصي الله عليها فلا تزال تسترید حتى يضع الرب جل وعلا موضعها من الكفار والأمكنته في النار فتمتلئ فتقول قط قط تريد حسبي حسبي لأن العرب تطلق في لغتها اسم القدم على الموضع قال الله جل وعلا لهم قدم صدق ثم ربهم يريد موضع صدق لا أن الله جل وعلا يضع قدمه في النار جل ربنا وتعالى عن مثل هذا وأشباهه) [صحيح ابن حبان ١/٥٠]

وقال أبو حاتم رضي الله عنه : قوله ﷺ "إلا كأنما يضعها في يد الرحمن".

هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهם من لم يحكم صناعة العلم أن أصحاب الحديث مشبهة عائذ بالله أن يخطر ذلك ببال أحد من أصحاب الحديث ولكن أطلق هذه الأخبار بألفاظ التمثيل لصفاته على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون تكيف صفات الله جل ربنا عن أن يشبه بشيء من المخلوقين أو يكيف بشيء من صفاته إذ ليس كمثله شيء [صحيح ابن حبان ٢/٤٥]

وقال أبو حاتم رضي الله عنه : (الله أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق إذ ليس كمثله شيء وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه الناس مما بينهم ومن ذكر ربه جل وعلا في نفسه بنطق أو عمل يتقرب به إلى ربه ذكره الله في ملوكه بالمغفرة له تفضلاً وجوداً ومن ذكر ربه في ملأ من عباده ذكره الله في ملائكته المقربين بالمغفرة له وقبول ما أتى عبده من ذكره ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت المغفرة منه له أقرب بباع ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي أتته أنواع الوسائل وجود الرأفة والرحمة

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

والغفرة بالسرعة كالهرولة والله أعلى وأجل) [صحيح ابن حبان (٣/٩٤) - [٩٥]

وقال الشيخ أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (٣٨٨ هـ) صاحب «معالم السنن» ما نصه: «وليس معنى قول المسلمين إن الله على العرش هو أنه تعالى مماس له أو متمكن فيه أو متخيّز في جهة من جهاته، لكنه بائن من جميع خلقه، وإنما هو خبر جاء به التوقيف فقلنا به ونفيانا عنه التكثيف إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وقال الحافظ المؤرخ ابن عساكر نقلاً عن أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني: (وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه: تمسكوا بهذا الرجل - أي بالباقلاني - فليس للسنة عنه غنى أبداً). قال: وسمعت الشيخ أبي الفضل التميمي الحنبلي رحمه الله وهو عبد الواحد بن أبي الحسن بن عبد العزيز بن الحرت يقول: اجتمع رأسى ورأس القاضى أبي بكر محمد بن الطيب - يعني الباقلاني - على مخدة واحدة سبع سنين. قال الشيخ أبو عبد الله: وحضر الشيخ أبو الفضل التميمي يوم وفاته العزاء حافياً مع إخوته وأصحابه وأمر أن ينادي بين يدي جنازته: «هذا ناصر السنة والدين، هذا إمام المسلمين، هذا الذي كان يذب عن الشريعة وألسنة المخالفين، هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة رداً على الملحدين»، وقد للعزاء مع أصحابه ثلاثة أيام فلم يربح، وكان يزور تربته كل يوم جمعة في الدار»^(٢).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعى (٤٥٨ هـ) ما نصه: «والذى روی فى آخر هذا الحديث^(٣) إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى، وأن العبد أينما

(١) أعلام الحديث: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْيِدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) (سورة الروم/٢٧، /٢٧). (١٤٧).

(٢) تبيين كذب المفترى: ترجمة الباقلاني (ص/٢٢١).

(٣) أي حديث: «والذى نفس محمد بيده لو أنكم دلتم أحدكم بحبل إلى الأرض السابعة لحيط على الله تبارك وتعالى»، وهو حديث ضعيف.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

كان فهو فيقرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان. واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي ﷺ «أنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» أ.ه.^(١)

وقال أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي شيخ الحنابلة في زمانه (٥١٣ هـ) ما نصه: «تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم، وليس الحق بذاته أجزاء وأبعاض يعالج بها» أ.ه.^(٢)

وقال القاضي الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد قاضي الجماعة بقرطبة المعروف بابن رشد الجد المالكي (٥٢٠ هـ) ما نصه: «ليس - الله - في مكان، فقد كان قبل أن يخلق المكان» أ.ه.. ذكره ابن الحاج المالكي في كتابه «المدخل»^(٣).

وقال الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر الدمشقي (٥٧١ هـ) في بيان عقيدته التي هي عقيدة أبي الحسن الأشعري نقلًا عن القاضي أبي المعالي بن عبد الملك ما نصه: «قالت النجارية: إن البارئ سبحانه بكل مكان من غير حلول ولا جهة. وقالت الحشووية والمجسمة: إنه سبحانه حالٌ في العرش وإن العرش مكان له وهو جالس عليه فسلك طريقة بينهما فقال: كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتاج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه» أ.ه.^(٤)

قال الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي الحبلي

(١) الأسماء والصفات (ص / ٤٠٠).

(٢) الباز الأشهب: الحديث الحادي عشر (ص / ٨٦).

(٣) المدخل: فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة (٢/١٤٩).

(٤) تبيين كذب المفترى (ص / ١٥٠).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

(٥٩٧ هـ) ما نصه: «الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله تعالى لا يحييه مكان ولا يوصف بالتغيير والانتقال» أ.هـ.^(١)

وقال أيضًا: افترى أقوام يسمعون أخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحسن، كقول قائلهم: ينزل بذاته إلى السماء وينتقل، وهذا فهم رديء، لأن المتنقل يكون من مكان إلى مكان، ويوجب ذلك كون المكان أكبر منه، ويلزم منه الحركة، وكل ذلك محال على الحق عز وجل» أ.هـ.^(٢)

وقال الشيخ أبو منصور - فخر الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن عساكر (٦٢٠ هـ) عن الله تعالى ما نصه: «موجود قبل الخلق ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، ولا يقال متى كان، ولا أين كان ولا كيف، كان ولا مكان، كون الأكوان، ودبر الزمان، لا يتقييد بالزمان، ولا يختصص بالمكان» أ.هـ.^(٣)

وقال الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي (٦٤٦ هـ) مثنيا على العقيدة التي كتبها الشيخ عبد العزيز ابن عبد السلام وما جاء في هذه العقيدة قول ابن عبد السلام: «كان - الله - قبل أن كون المكان ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان» أ.هـ. ومن جملة ما ذكره في ثنائه قوله: «ما قاله ابن عبد السلام هو مذهب أهل الحق، وأن جمهور السلف والخلف على ذلك، ولم يخالفهم إلا طائفة مخذولة، يخفون مذهبهم ويدسونه على تخوف إلى من يستضعفون علمه وعقله» أ.هـ.^(٤)

(١) دفع شبه التشبيه (ص/٥٨).

(٢) صيد الخاطر (ص/٤٧٦).

(٣) طبقات الشافعية (٨/١٨٦).

(٤) طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة عبد العزيز بن عبد السلام (٨/٢٣٧).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وقال الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الأشعري الملقب بسلطان العلماء (٦٦٠ هـ) ما نصه: «ليس - أي الله - بجسم مصور، ولا جوهر محدود مُقدر، ولا يشبه شيئاً، ولا يُشبه شيئاً، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنف الأرضون ولا السموات، كان قبل أن كُوِّن المكان ودُبِّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان» أ.هـ.^(١)

وقال الحافظ أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي الشافعي الأشعري (٦٧٦ هـ) ما نصه «إن الله تعالى ليس كمثله شيء ، منه عن التجسيم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق» أ.هـ.^(٢)

وقال العالمة الأصولي الشيخ أحمد بن إدريس القرافي المالكي المصري (٦٨٤ هـ) أحد فقهاء المالكية ما نصه: «وهو - أي الله - ليس في جهة ، ونراه نحن وهو ليس في جهة» أ.هـ.^(٣)

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري (٨٥٢ هـ) ما نصه: «ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالا على الله أن لا يوصف بالعلو، لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى، والمستحيل كون ذلك من جهة الحسن، ولذلك ورد في صفتة العلي والمتعالي ، ولم يرد ضد ذلك وإن كان قد أحاط بكل شيء علما جلّ وعز» أ.هـ.^(٤)

وأيضاً عند شرح حديث النزول ما نصه: «استدل به من أثبت الجهة وقال هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور^(٥) لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز ، تعالى الله عن

(١) طبقات الشافعية الكبرى: ترجمة عبد العزيز بن عبد السلام (٢١٩ / ٨).

(٢) شرح صحيح مسلم (٣١٩).

(٣) الأجوبة الفاخرة (ص / ٩٣).

(٤) فتح الباري (٦ / ١٣٦).

(٥) أي أهل السنة والجماعة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ذلك » أ.ه.^(١)

وقال أيضاً: «فمعتمد سلف الأئمة وعلماء السنة من الخلف أن الله منزه عن الحركة والتحول والخلول، ليس كمثله شيء» أ.ه.^(٢)

وقال الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (٩٣٣هـ) في شرحه على صحيح البخاري ما نصه: «ذات الله منزه عن المكان والجهة» أ.ه.^(٣)

وقال أيضاً ما نصه: «قول الله تعالى «وُجُوهٌ» هي وجوه المؤمنين «يَوْمَئِذٍ» يوم القيمة «نَاضِرَةٌ حَسَنَةٌ نَاعِمَةٌ» إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة. أ.ه.^(٤)

وقال الشيخ القاضي زكريا الأنصاري الشافعي الأشعري (٩٢٦هـ) في شرحه على «الرسالة القشيرية» ما نصه: «إن الله ليس بجسم ولا عَرَض ولا في مكان ولا زمان» أ.ه.^(٥)

وقال أيضاً عن الله ما نصه: «لا مكان له كما لا زمان له لأنه الخالق لكل مكان وزمان» أ.ه.^(٦)

وقال في تفسيره ما نصه: «هو تعالى منزه عن كل مكان» أ.ه.^(٧)

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهيثمي الأشعري

(١) فتح الباري (٣٠ / ٣).

(٢) فتح الباري (٧ / ١٢٤).

(٣) إرشاد الساري (٤٥١ / ١٥).

(٤) إرشاد الساري (٤٦٢ / ١٥).

(٥) حاشية الرسالة القشيرية (ص / ٢).

(٦) حاشية الرسالة القشيرية (ص / ٥).

(٧) فتح الرحمن: تفسير سورة الملك (ص / ٥٩٥).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

(٩٧٤) هـ ما نصه: «عقيدة إمام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة من المبالغة التامة في تنزيه الله تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً من الجهة والجسمية وغيرها من سائر سمات النقص، بل وعن كل وصف ليس فيه كمال مطلق، وما اشتهر بين جهله المنسوبين إلى هذا الإمام الأعظم المجتهد من أنه قائل بشئ من الجهة أو نحوها فكذب وبهتان وافتراء عليه» أ.ه.^(١)

وقال الشيخ العلامة أبو البركات أحمد بن محمد الدردير المالكي المصري (١٢٠١هـ) عن الله تعالى ما نصه: «منزه عن الخلول والجهة والاتصال والانفصال والسوقه»^(٢)

وقال الحافظ اللغوي الفقيه السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي (١٢٠٥هـ) ما نصه: «إنه سبحانه لا مكان له ولا جهة» أ.ه.^(٣)

وذكر الشيخ محمد الخضر الشنقيطي (١٢٥٣هـ) مفتى المدينة المنورة في كتابه «استحالة المعية بالذات» تنزيه الله عن المكان والجهة، وما ورد فيه: «إن الله تعالى ليس بجسم، فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه، فقد كان ولا مكان... والبارئ سبحانه لا تحويه جهة إذ كان موجوداً ولا جهة» أ.ه.^(٤)

وجاء في مجلة دعوة الحق تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية مانصه (٤): «يتفق الجميع من علماء سلف أهل السنة وخلفهم - وكذا العقلاطيون من المتكلمين - على أن ظاهر الاستواء على العرش يعني الجلوس على كرسي والمتمكن عليه والتحيز فيه مستحيل، لأن الأدلة القطعية تنزع الله تعالى عن أن

(١) الفتاوى الحديبية (ص / ١٤٤).

(٢) الخريدة البهية (ضمن مجموع مهمات المتون) (رقم البيت ٣١ / ص ٢٥).

(٣) إتحاف السادة المتقين (٢ / ٢٤).

(٤) استحالة المعية بالذات: المبحث الثامن في النزول والصعود والعروج (ص / ٢٧٧).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

يشبه خلقه أو أن يحتاج إلى شيء مخلوق، سواء أكان مكاناً يحمل فيه أو غيره، وكذلك لأنه سبحانه نفى عن نفسه المماثلة لخلقه في أي شيء، فأثبتت لذاته الغنى المطلق فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ا.هـ.^(١)

وجاء في مجلة الأزهر وهي مجلة دينية علمية تاريخية تصدرها مشيخة الأزهر بمصر، انتدب الأزهر الشريف بمصر لهؤلاء، فنشر أكثر من مقال لإبطال مزاعمهم تحت عنوان «تنزيه الله عن المكان والجهة».

وما جاء فيها: «والأعلى» صفة الرب، والمراد بالعلو العلو بالقهر والاقتدار لا بالمكان والجهة، لتنزهه عن ذلك» ا.هـ.^(٢)

وهذا المقال صدر عن مشيخة الأزهر منذ أكثر من ستين سنة مما يدل على حرصه في التصدي والرد على الشبهات.

بيان أصل نشوء التشبيه عند أهل الإسلام:

قال أبو محمد ابن حزم في الفصل:

«في أول ورقة من توراة اليهود التي عند ربانيهم وعانياهم وعيسيويه حيث كانوا في مشارق الأرض وغاربها لا يختلفون فيها على صفة واحدة، لو رام أن يزيد فيها لفظة أو ينقص أخرى لافتضاح عند جميعهم مبلغ ذلك إلى أحجارهم الذين كانوا أيام ملك الهارونية لهم قبل الخراب الثاني بدهر يذكرون أنها مبلغ ذلك من أولئك إلى عذراء الوراق الهاروني ففي صدرها: «قال الله تعالى اصنع بناء آدم كصورتنا كشبهنا»، قال أبو محمد بن حزم: ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن

(١) مجلة دعوة الحق: العددان ٣٠٥ - ٣٠٦ (ص/ ٦٥ سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤).

(٢) مجلة نور الإسلام مجلة الأزهر: (مجلد ٢ / جزء ٤ / ص ٢٨٢ ربى الثاني سنة ١٣٥٠ هـ)، (ومجلد ٢ / جزء ٩ / ص ٦٣ رمضان سنة ١٣٥٠ هـ). (مجلد ٩ / جزء ١ / ص ١٦) الحرم سنة ١٣٥٧ هـ).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

تضييف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق، كما تقول هذا عمل الله، وتقول للقرد والقبيح والحسن: هذه صورة الله، أي تصوير الله، والصفة التي انفرد بذلكها وخلقها. لكن قوله كشبها من التأويلات وسد المخارج وقطع السبل، وأوجب شبهه آدم الله عز وجل ولا بد ضرورةً، وهذا يعلم بطلانه ببديهي العقل إذ الشبه والمثل واحد، وحاشى الله أن يكون له مثل أو شبهه». اهـ⁽¹⁾

وقال الإمام العلامة أبو المظفر الإسفرايني صاحب كتاب التبصير في الدين بخصوص المشبهة منه :

«هم الأصل في التشبيه، وكل من قال قولًا في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم». اهـ

الأصول المنهجية لعقائد المشبهة والمجسمة:

قال الإمام أبو الحسن الأشعري مبيناً طرائق المجسمة والمشبهة :

هذا شرح اختلاف الناس في التجسيم قد أخبرنا عن المنكرين للتجسيم أنهم يقولون إن البارئ جل ثناؤه ليس بجسم ولا محدود ولا ذي نهاية ونحن الآن نخبر أقاويل المجسمة واختلافهم في التجسيم اختلفت المجسمة فيما بينهم في التجسيم وهل للبارئ تعالى قدر من الأقدار وفي مقداره على ست عشرة مقالة :

فقال هشام بن الحكم : إن الله جسم محدود عريض عميق طويل طوله مثل عرضه وعرضه مثل عمقه نور ساطع له قدر من الأقدار بمعنى أن له مقداراً في طوله وعرضه وعمقه لا يتجاوزه في مكان دون مكان ، وحكي عنه أنه قال هو جسم لا كال أجسام ومعنى ذلك أنه شيء موجود ، وقد ذكر عن بعض المجسمة أنه كان يثبت البارئ ملوكاً ويأبى أن يكون ذا طعم ورائحة وجسمة وأن يكون طويلاً وعرضاً وعميقاً ، وزعم أنه في

(1) [الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٧/١)، طبعة دار المعرفة - بيروت].

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

مكان دون مكان ، متحرك من وقت خلق الخلق.

وقال قائلون : إن البارئ جسم وأنكروا أن يكون موصوفاً بلون أو طعم أو رائحة أو مجسة أو شيء مما وصف به هشام غير أنه على العرش ماس له دون سواه

واختلفوا في مقدار البارئ بعد أن جعلوه جسماً فقال قائلون هو جسم وهو في كل مكان وفضل عن جميع الأماكن وهو مع ذلك متناه غير أن مساحته أكثر من مساحة العالم لأنها أكبر من كل شيء ، وقال بعضهم مساحته على قدر العالم ، وقال بعضهم إن البارئ جسم له مقدار في المساحة ولا ندري كم ذلك القدر ، وقال بعضهم هو في أحسن الأقدار وأحسن الأقدار أن يكون ليس بالعظيم الجافي ولا القليل القميء ، وحكي عن هشام بن الحكم أن أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار بشبر نفسه يتجاوزه في مكان دون مكان كالسيبة الصافية يتلاؤ كاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها ذو لون وطعم ورائحة ومجسة ، لونه هو طعمه وهو رائحته وهو مجسته ، وهو نفسه لون ولم يثبت لوناً غيره ، وأنه يتحرك ويسكن ويقوم ويقعده ، وحكي عنه أبو المظيل أنه أجابه إلى أن جبل أبي قبيس أعظم من معبده.

وقال داود الجواربي ومقاتل بن سليمان : إن الله جسم وإنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين ، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه وحكي عن الجواربي أنه كان يقول : أجوف من فيه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك ، وكثير من الناس يقولون هو مصمت ويتأولون قول الله الصمد المصمت الذي ليس بأجوف ، وقال هشام بن سالم الجواليلي إن الله على صورة الإنسان وأنكر أن يكون لحمًا ودمًا وأنه نور ساطع يتلاؤ بياضاً وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان سمعه غير بصره وكذلك سائر حواسه يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم وأن له وفرة سوداء ، ومن قال بالصورة من ينكر أن يكون البارئ جسماً ومن قال بالتجسيم من ينكر أن يكون البارئ صورة .⁽¹⁾ هـ

(1) (مقالات الإسلاميين لإمام السنة أبي الحسن الأشعري ٢٠٦ / ١ : ٢١٠).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

مسألة قدم العالم بال النوع:

العالم هو ما سوى الله تعالى، وقد ذهبت الطوائف والفرق في خلق هذا العالم عدّة مذاهب يتبيّن من ذكرها على الإجمال معنى الـقدم النوعي؛ فقد ذهبت الفلاسفة إلى أنّ العالم له مادة خلق منها - أو فاضت عن الله - وله صورة مشاهدة هي السبب في اختلاف أفراد العالم وتنوعه، وقد ذهب الفلاسفة إلى قدم المادة وحدوث الصورة، فالعالم عندهم من حيث المادة قديم لا أول له، وذهب أهل السنة وعامة الطوائف والفرق الإسلامية إلى أنّ العالم حادث وجد بعد العدم، وأنّ الله تعالى كان ولا شيء معه، وقد نقل ابن حزم الإجماع على هذا الاعتقاد: حيث قال في كتابه مراتب الإجماع:

(باب من الإجماع في الاعتقادات، يكفر من خالفه بإجماع: اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء، وأن النفس مخلوقة، والعرش مخلوق، والعالم كله مخلوق) اه^١.

وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق (ص ٢٦) أيضاً: (وقد زعم البصريون من القدرة أن الجوادر والأعراض كانت قبل حدوثها جواهر وأعراضاً، وقول هؤلاء يؤدي إلى القول بقدم العالم، والقول الذي يؤدي إلى الكفر كفر في نفسه) اه.

وقد ركب بعضهم (كابن تيمية) من هذه الأقوال قولًا لم يسبق إليه، مفاده أن الله تعالى لم يزل خالقاً، ولم يزل خلقه معه لا إلى أول، فالعالم قديم النوع وحدث والتجدد إنما يكون في الأفراد لا في جنس العالم.

وقال في هذه المسألة الحافظ ابن دقيق العيد أيضاً كما في (الفتح) (١٢ - ٢٠٢) ما نصه: (وقع هنا من يدعى الحذق في المقولات ويميل إلى الفلسفة فظن أن المخالف في

(١) انظر مراتب الإجماع المطبوع مع نقد مراتب الإجماع (ص ١٦٧).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

حدوث العالم لا يكفر لأنه من قبيل مخالفة الإجماع، وتمسك بقولنا إن منكر الإجماع لا يكفر على الإطلاق حتى يثبت النقل بذلك متواتراً عن صاحب الشرع، قال: وهو تمسك ساقط إما عن عمي في البصيرة أو تعام، لأن حدوث العالم من قبيل ما اجتمع فيه الإجماع والتواتر بالنقل) انتهى.

وقد أنكر ابن تيمية في (نقد مراتب الإجماع) ص ١٦٨ أن يكون هناك إجماع على (أن الله لم يزل وحده ولا شيء معه غيره).

ولشناعة هذا القول واقترابه إن لم يكن تطابقه مع مذهب الفلسفه تبرأ منه الألباني وردہ على ابن تيمية وتنى أن لم يكن صدر منه هذا القول :

قال الألباني في (الأحاديث الصحيحة) (٢٠٨ - ١) عن حديث: (إن أول شيء خلقه الله تعالى القلم) ما نصه: (وفي رد أيضاً على من يقول بحوادث لا أول لها، وأنه ما من مخلوق إلا ومبسوط بمخلوق قبله، وهكذا إلى ما لا بداية له، بحيث لا يمكن أن يقال: هذا أول مخلوق، فالحديث يبطل هذا القول ويعين أن القلم هو أول مخلوق، فليس قبله قطعاً أي مخلوق، ولقد أطال ابن تيمية... الكلام في رده على الفلسفه إثبات حوادث لا أول لها، وجاء في أثناء ذلك بما تحرّر فيه العقول، ولا تقبله أكثر القلوب). ثم قال الألباني بعد ثلاثة أسطر: (فذلك القول منه غير مقبول، بل هو مردود بهذا الحديث، وكم كنا نود أن لا يلتج ابن تيمية. هذا المولج، لأن الكلام فيه شبيه بالفلسفه وعلم الكلام).

وقال الألباني في (شرحه المختصر) للعقيدة الطحاوية^(١) ص ٣٥ ما نصه: (فإني أقول آن: سواء كان الراجح هذا أم ذلك، فالاختلاف المذكور يدل بمفهومه على أن العلماء اتفقوا على أن هناك أول مخلوق، والقائلون بحوادث لا أول لها مخالفون لهذا الاتفاق، لأنهم يصرّحون بأن ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، وهكذا إلى ما لا أول له، كما صرّح بذلك

(١) (طبع المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ابن تيمية في بعض كتبه، فإن قالوا العرش أول مخلوق، كما هو ظاهر كلام الشارح، نقضوا قولهم بحوادث لا أول لها. وإن لم يقولوا بذلك خالفوا الاتفاق: فتأمل هذا فإنه مهم، والله الموفق) انتهى.

تفسير المقام المحمود:

جاء في مجموع الفتاوى (٤/٣٧٣):

(إذا تبين هذا فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون: أن محمدا رسول الله يجلسه ربه على العرش معه. روى ذلك محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد؛ في تفسير: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً» وذكر ذلك من وجوه أخرى مرفوعة وغير مرفوعة قال ابن جرير: وهذا ليس مناقضا لما استفاضت به الأحاديث من أن المقام المحمود هو الشفاعة باتفاق الأئمة من جميع من ينتحل الإسلام ويدعيه، لا يقول إن إجلاسه على العرش منكر - وإنما أنكره بعض الجهمية).

وهنا أيضاً يقع ابن تيمية رحمة الله وعفا عنا عنه في خطأ على ابن جرير؛ لأن الإمام الطبرى يحكي الأقوال الواردة ثم هو يختار أن القول الصحيح في المقام المحمود أنه الشفاعة، فيقول في الجزء ١٥ ص ٩٨: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ وذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا...عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «عسى أن يبعثك ربك مقاماً مموداً، سئل عنها قال هي الشفاعة» أ.هـ.

ثم ابن جرير يبين أن القول بإجلاس النبي على العرش ليس مدفوعاً من جهة الخبر أو النظر وهذا بخلاف قول ابن تيمية في قوله «يجلسه ربه على العرش معه» فأين هذا من كلام ابن جرير وجلوس النبي ﷺ على العرش لا محذور فيه أما الممنوع فهو نسبة الجلوس إلى الله تعالى. فابن جرير يقول: «فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً ﷺ على عرشه قول غير مدفوع صحته لا من جهة خبر ولا نظر» فابن جرير لا يقول

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

مجلوس الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا وإنما يقول بجواز جلوس النبي على العرش جوازًا عقليًّا. وابن حجر إمام منزه يمنع القول بالجهة كما هو معلوم.

وقال الحافظ أبو حيان في تفسيره (النهر الماد : ١/٦ - ٢٥٤) ما نصه :

(وقرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرنا وهو بخطه سماه كتاب العرش : أن الله تعالى يجلس على الكرسي وقد أخلى منه مكانا يقعد فيه معه رسول الله (ﷺ) تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق البارباري وكان أظهر أنه داعية له حتى أخذه منه وقرأنا ذلك فيه).

وقد أثبتت هذه العقيدة ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد ٤ - ٣٩) حيث قال : (فائدة : قال القاضي : صنف المروزي كتابا في فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه إقعاده على العرش...) ثم قال ابن القيم بعده : قلت : وهو قول ابن حجر الطبراني وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير وهو قول أبي الحسن الدارقطني ، ومن شعره فيه :

حديث الشفاعة عن أحمد إلى أحمد المصطفى مسنده
وجاء حديث على العرش أيضا فلا نجد
أمرها الحديث على وجهه ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا أنه قاعد ولا تنكروا أنه يقعده

انتهى كلام ابن القيم من كتابه (بدائع الفوائد).

إنكار الألباني لذلك وردہ عليه:

لقد رد الألباني هذه العقيدة في مقدمة (مختصر العلو) ص ٢٠ حيث قال : (قلت : وقد عرفت أن ذلك لم يثبت عن مجاهد، بل صح عنه ما يخالفه كما تقدم، وما عزاه للدارقطني لا يصح إسناده كما بيناه في (الأحاديث الضعيفة) (٨٧٠/٨٧٠) وأشارت إلى ذلك تحت ترجمة الدارقطني الآتية. وجعل ذلك قوله لأن ابن حجر فيه نظر).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ثم قال الألباني في آخر تلك الصفحة. وخلاصة القول: إن قول مجاهد هذا - وإن صح عنه - لا يجوز أن يتخذ ديناً وعقيدة، ما دام أنه ليس له شاهد من الكتاب والسنة، فيا ليت المصنف إذ ذكره عنه جزم برده وعدم صلاحيته للاحتجاج به، ولم يتردد فيه). انتهى كلام الألباني فتأمل!

أما صحته عن مجاهد فيها نظر كبير، فقد قال الذهبي في ميزان الاعتدال (٤٣٩/٣) : ومن أنكر ما جاء عن مجاهد قوله في تفسير (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محظوظاً) قال: بجلسه معه على عرشه.أ.هـ، وقال في رواية مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس ، وفيها زيادة حتى تمس ركبته . تعالى الله عما يقولون : فهذا لعله وضعه أحد أصحاب هؤلاء أصحاب مقاتل أو القادسي أ.هـ من ميزان الاعتدال (١٧٤/٤).

[[الكلام على مصدر التلقي عند الأشاعرة]]

ثم يقول الدكتور سفر:

«الأول: مصدر التلقي :

أ- مصدر التلقي عند الأشاعرة هو العقل، وقد صرحت الجوهري والرازي والبغدادي والغزالى والأمدي والإيجي وابن فورك والسنوسى وشرح الجوهرة وسائر أئمتهم بتقديم العقل على النقل عند التعارض، وعلى هذا يرى المعاصرون منهم، ومن هؤلاء السابقين من صرحت بأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة أصل من أصول الكفر وبعضهم خففها فقال هو أصل الضلاله.

التعليق:

لقد اتخذ (د: سفر) سبيل التلبيس، فأطلق القول عليهم بأنهم يقولون إن العقل هو مصدر التلقي في معظم العقائد، وهذا النقل باطل من أساسه، إذ لا تستطيع يا سفر أن تثبت هذا القول من كتبهم سواء المقدمين والمؤخرین، فما هي مصادرك التي اعتمدت عليها في إصدارك لهذه الأحكام؟ إن هي إلا أوهام وتخ�نات. وظاهر كلامه أنهم يأخذون العقائد من حيث هي دين وشرع وملة من العقل، ويوجبون ذلك بحيث يتربى العقاب والثواب على ذلك، وهذا القول باطل كما هو معلوم من نصوصهم في كتبهم المشهورة.

فالذى يقولون به إنما هو أن العقل آلة لمعرفة الوجوب الثابت لله تعالى، فهو كاشف لا مثبت، ولهذا قال الإمام البياضي في إشارات المرام صفحة ٧٥ :

«العقل آلة لمعرفة الوجوب الثابت لله تعالى ولمعرفة الحسن اللازم لا موجب كما قالت المعتزلة».

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ثم قال :

وهو معتبر وآل لمعرفة ذلك بدون السمع. أهـ

فأين هذا الكلام من كلامك يا دـ: سفر؟!

وإن الأخذ بما هو أخذ يتضمن التدين والإذعان والخضوع، وهذا الأمر لا يتوقف فقط على كون المأمور قطعياً، بل يمكن أن يبني أيضاً على مجرد كونه ظنياً، والشرط في الأخذ بهذا المعنى هو كون مصدر الأخذ هو الله تعالى أو الرسول عليه السلام، ولا يهم بعد ذلك كون المأمور قطعياً أو ظنياً، كغالب الأمور التعبدية. ولكن العقائد اشترط فيها كونها قطعية لما لها من محل كبير في الدين، ولكونها أصولاً يقوم الدين عليها. وزيادة شرط القطع في العقائد، لا يستلزم عدم الأخذ من الله تعالى؛ لأن القطع يتحقق أيضاً في المنقول من الشرائع، ولكن اشتراط كون المأمور منه هو الله أو الرسول لكي يعتبر تديناً، هو إبطال لاعتبار مجرد العقل في التدين، كما هو معلوم في أصول الدين، وهذا هو المعبر عنه عند علماء أهل السنة بأنه لا حكم إلا لله تعالى، وأنه لا حكم للعقل، يقصدون بالحكم الشرعي المأمور للتدين.

ثم هل يجهل هذا الكاتب أن المحققين من العلماء الأصوليين قالوا بأن النصوص والنقل الشرعية بعضها يفيد القطع وبعضها يغدو الظن، وذلك حسب قوة النقل المتفاوت من المتواتر إلى الآحاد. لا أظن أن أحداً يجهل هذا الأمر، لأنه من الوضوح بمنزلة الشمس، ولكنه التلبيس على عامة الناس الذين يوجه كتابه هذا إليهم.

وقد قرر أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية أن النقل الصحيح الثابت المعنى لا يمكن أن يتعارض مع البراهين العقلية.

ثم إنه لم يقل أحد منهم أن الأدلة العقلية كلها قطعية، ولذلك اهتموا بترتيب مراتب الحجج وبيان القوي منها والضعف سواء في كتب المنطق أو في كتب علم أصول الفقه وعلم التوحيد. أ.هـ.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ثم لم تناقض نفسك يا سفر؟! فأنت من قال: إن الأشاعرة هم الذين يقولون: (لا حسن إلا ما حسنها الشرع، ولا قبح إلا ما قبحه الشرع)، فكيف ترى أنهم يقدمون العقل؟!.

بل كان جل همهم عدم الاعتماد على العقل في مواجهة المعتزلة وغيرهم من الفرق.

أليس هذا من تناقضك وعدم فهمك لكلامهم؟!

الكلام على القانون الكلي عند الرازبي

ثم يقول الدكتور سفر:

«الأول: وضع الرازبي في أساس التقديس القانون الكلي للمذهب في ذلك فقال:
«الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية
فكيف يكون الحال فيها؟

اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء ثم وجدنا أدلة نقلية
يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

١ - إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق التقىضيين وهو
محال.

٢ - وإما أن يبطل فيلزم تكذيب التقىضيين وهو محال.

٣ - وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويکذب الظواهر العقلية وذلك باطل.

لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات
الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات على
محمد ﷺ.

ولو جوزنا القدر في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول،
ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول وإذا لم تثبت هذه
الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مغيدة.

فثبت أن القدر في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدر في العقل والنقل معاً وأنه
باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربع (علمًا أنه لم يذكر سوى ثلاثة فقط) لم يبق إلا

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية – القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال أنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق .

التعليق:

يقول الرازي في المحصل ص ٣١: الدليل اللغظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ وإعرابها وتصريفها وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة وعدم الإضمار والتأخير والتقديم والنسخ وعدم المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدر في العقل المستلزم للقدر في النقل لافتقاره إليه وإذا كان المنتج ظنياً فما ظنك بالنتيجة.

يقول صاحب كتاب نظرة عابرة ص ٩: «التقعر بالاحتمالات العشرة لا يمت إلى أي إمام من أئمة الدين بأي صلة وإنما هو من صنع يد بعض المبتدة وتابعه بعض المتكلمين من أهل الأصول فساير هذا الرأي مسايرون من المقلدة كما محض ذلك في موضعه والقول بطنية الدليل اللغظي مطلقاً باطل لأدلة مشروحة في موضعه ».

ويقول ص ٢٢ ، ٢٣ : «أما الدليل اللغظي فيفيد اليقين عند توارد الأدلة على معنى واحد بطريق متعددة وقرائن منضمة عند الماتريدية ، كما في إشارات المرام للبياضي وغيره.

إلى هذا ذهب الآمدي في الأبكار والسعد في شرح المقاصد والتلويع والسيد في شرح المواقف وعليه جرى المتقدمون من أئمة هذه الأمة وجماهير أهل العلم من كل

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

مذهب.

بل الأشعري يقول: إن معرفة الله لا تكون إلا بالدليل السمعي ومن يقول هذا يكون بعيداً عن القول بأن الدليل السمعي لا يفيد إلا الظن فيكون من عزا المسألة إلى الأشاعرة مطلقاً متساهلاً بل غالطاً غلطاً غير مستساغٍ الواقع أن القول بأن الدليل اللغطي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة دون ذلك خرط القتاد تقر من بعض المبتدة و قد تابعه بعض المتكلمين من أهل الأصول وجراً وراءه بعض المقلدة من المتأخرین.

وليس لهذا القول أي صلة بأي إمام من أئمة أهل الحق وحاشاهم أن يضعوا أصلاً يهدم به الدين ويتخذ معلولاً بأيدي المشككين والدليل اللغطي القطعي الثبوت يكون قطعياً الدلالة في مواضع مشروحة في أصول الفقه.

وأما ما أجمله الفخر الرازمي في الحصول فقد أوضحه في الحصول ونهاية العقول واعترف فيما بأن القرآن قد تعين المقصود في في الدليل اللغطي اليقين في تلك من أيدي المشككين إمكان التمسك بقول الرازمي في الحصول في باب التشكيك في القرآن الكريم بل القول بمجرد الدليل العقلي في علم الشريعة بدعة وضلاله بل الأصل في علم التوحيد والصفات هو التمسك بالكتاب والسنة ومجابة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة في المباحثة مع الذين أقرروا برسالة النبي ﷺ، وإنما يستعمل الدليل العقلي وحده مع غيرهم كما يقوله فخر الإسلام وغيره فلا يعول عند أهل الحق على اعتقاد لا يقره الكتاب والسنة فمن سعي في إبعادهما عنه فقد أبعد في الضلال. أهـ ويقرر أهل العلم أن «مجرد الاحتمال العقلي لا يقدح في قطعية الدليل» أهـ.

يقول الشيخ أبو سنة في كتابه الوسيط في أصول الفقه ٩١، ٩٢، ٩٣: «قالت المعتزلة وبعض الأشاعرة الدليل اللغطي لا يفيد اليقين فيما يثبته من المعاني والأحكام، وغاية الأمر أنه يفيد الظن بها فالأحكام الكلامية والأحكام الفقهية الثابتة من طريق

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الكتاب أوالسنة كلها ظنية ولهذا قال البعض الفقه في الحقيقة الظن بالأحكام الشرعية ولا علم فيه وقال الجمهور الدليل اللغظي منه ما يفيد اليقين كأقسام الظاهر التي لم يدخلها تخصيص ولا تأويل وكالخبر المتواتر المشهور ومنه ما يفيد الظن كالعام المخصوص وكالمؤول ...

إلى أن يقول :

ثم العلم القطعي قسمان : الأول : ما انتفى فيه الاحتمال أصلاً كالمحكم والمفسر والمتواتر والثاني ما انتفى فيه الاحتمال الناشيء عن الدليل كالظاهر والنص والخبر المشهور فال الأول يسمونه علم اليقين والثاني علم الطمأنينة . اهـ

[الكلام على إثبات وجود الله]

ثم يقول الدكتور سفر:

الثاني: إثبات وجود الله:

معلوم أن مذهب السلف هو أن وجوده تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة والأدلة عليه في الكون والنفس والآثار والآفاق والوحى أجل من الحصر، ففي كل شيء له آية وعليه دليل.

أما الأشاعرة فعندهم دليل يتيم هو دليل «الحدث والقدم» وهو الاستدلال على وجود الله بأن الكون حادث وكل حادث فلا بد له من محدث قديم، وأخص صفات هذا القديم مخالفته للحوادث وعدم حلولها فيه ومن مخالفته للحوادث إثبات أنه ليس جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً ولا في جهة ولا مكان ... الخ، ثم أطالوا جداً في تقرير هذه القضايا هذا وقد رتبوا عليه من الأصول الفاسدة ما لا يدخل تحت العدّ مثل إنكارهم لكثير من الصفات كالرضا والغضب والاستواء بشبهة نفي حلول الحوادث في القديم ونفي الجوهرية والعرضية والجهة والجسمية ... إلى آخر المصطلحات البدعية التي جعلوا نفيها أصولاً وأنفقوا الأعمار والمداد في شرحها ونفيها، ولو أنهم قالوا الكون مخلوق وكل مخلوق لابد له من خالق لكان أيسراً وأخصر مع أنه ليس الدليل الوحد و لكنهم تعمدوا موافقة الفلاسفة حتى في ألفاظهم.

التعليق:

أما الكلام على الفطرة فسيأتي.

وأما استدلال الأشاعرة فليس به بأس طالما كان الدليل صحيحاً.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وأما الاعتراض بطوله أو بصعوبته فلا وجاهة لهذا الاعتراض لأن المطلوب هو الاستدلال على وجه لا نقص فيه وقد حصل، إذ إن غرض الأشاعرة هو الرد على الفرق المتأثرة بآراء الفلاسفة، فكان الرد عليهم من جنس أدتهم، **وإلا فالمقدم عند الأشاعرة الأدلة السمعية مع تفويض معناها كما أشرنا في موضع سابق.**

[بيان بطلان تقسيم المتمسفة للتوحيد]

ثم يقول الدكتور سفر:

الثالث : التوحيد:

التوحيد عند أهل السنة والجماعة معروف بأقسامه الثلاثة وهو عندهم أول واجب على المكلف ، أما الأشاعرة قدماً لهم ومعاصروهم فالتوحيد عندهم هو نفي التشنيه أو التعدد ونفي التبعيض والتركيب والتجزئة أي حسب تعبيرهم «نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة» ومن هذا المعنى فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاتخراج وأنكروا بعض الصفات كالوجه واليد والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم.

أما التوحيد الحقيقي وما يقابلة من الشرك ومعرفته والتحذير منه فلا ذكر له في كتب عقيدتهم إطلاقاً ولا أدرى أين يضعونه أفي كتب الفروع؟ فليس فيها ، أم يتركونه بالمرة ؟ فهذا الذي أجزم به.أ.هـ.

التعليق:

عجبأً لك يا سفر !

كيف تجزم بأنهم يجهلون معنى التوحيد الحقيقي ؟ !

أفلم يكونوا يعلمون معنى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؟ !

بل العجب من السلفية الدين أحذثوا في أهم ركن من أركان الإسلام التقسيم الثاني الذي لم يظهر إلا في القرن السابع المجري ؟ !

وليتك لم تشر موضوع تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام ، الذي أفضى إلى استحلال دم المسلمين واتهامهم بالشرك وعبادة القبور ، بل أفضى إلى اتهام أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله من يقيمون أركان الإسلام ولا ينكرون شيئاً من المعلوم من الدين

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

بالضرورة.

بل وصفوهם بأنهم مشركون بل أشد كفراً من مشركي الجahلية، فلزم البيان، إذ لا ينبغي تأخير البيان عند الحاجة إليه، فهذا التقسيم باطل.

وأوجه بطلان تقسيم التوحيد إلى ربوبية وألوهية^(١):

تقسيم التوحيد إلى توحيد ربوبية وتوحيد ألوهية غير معروف لأحد قبل ابن تيمية؛ فلم يكن رسول الله ﷺ يقول لأحد دخل في الإسلام : إن هناك توحيدين وإنك لا تكون مسلماً حتى توحد توحيد الألوهية ، ولا أشار إلى ذلك بكلمة واحدة ، ولا سمع إلى ذلك عن أحد من السلف ، أو أشار إليه أحد من الأئمة المتبعين حتى جاء ابن تيمية في القرن السابع الهجري مقرراً إياها.

فهل كان يسع رسول الله ﷺ أن يسكت عن أمر جلل كهذا؟ وكذلك علماء الأمة الأجلاء حتى القرن السابع للهجرة؟ أم أن أهل تلك القرون ليسوا من أهل السنة والجماعة يا سفر حتى تحصر أهل السنة والجماعة فيمن اتبع هذا التقسيم؟!

كما أن هذا التقسيم غير معقول؛ فإن الإله الحق هو رب الحق، والإله الباطل هو رب الباطل، ولا يستحق العبادة والتائليه إلا من كان ربا، ولا معنى لأن نعبد من لا نعتقد فيه أنه رب ينفع ويضر، فهذا مرتب على ذلك.

والله تعالى هو رب والرب هو الإله فهما متلازمان يقع كل منهما في موضع الآخر في الكتاب والسنة وكلام علماء الإسلام، وقد أومأ القرآن الكريم والسنة المستفيضة إلى تلازم توحيد الربوبية والألوهية، كما قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. فرتبت العبادة على الربوبية، فإننا إذا لم

(١) تم استفادة ما سيأتي من مقالة الشيخ يوسف الدجوي في نقد التقسيم، والتعقب المفيد للعربي التباني ، والتنديد للسفاق.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

نعتقد أنه رب ينفع ويضر فلا معنى لأن نعبده.

ويقول تعالى: ﴿أَلَا يسجدوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يشير إلى أنه لا ينبغي السجود إلا ممن ثبت اقتداره التام، ولا معنى لأن نسجد لغيره.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخَذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا﴾، فصرح ببعد الأرباب عند المشركين، وعلى الرغم من تصريح القرآن بأنهم جعلوا الملائكة أرباباً فإن أصحاب بدعة تقسم التوحيد يقولون إنهم (أي المشركون) موحدون توحيد الربوبية، وليس عندهم إلا رب واحد، وإنما أشركوا في توحيد الألوهية !!

وتأمل قول سيدنا يوسف عليه السلام لصاحب السجن وهو يدعوهما إلى التوحيد: (أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)، فهل كان سيدنا يوسف عليه السلام يدعوهما إلى توحيد الربوبية، دون توحيد الألوهية، أم أنه ليس هناك شيء يسمى توحيد الربوبية وشيء آخر يسمى توحيد الألوهية عند يوسف عليه السلام.

ويقول الله تعالى أيضاً: (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قَلْ هُوَ رَبِّي)، وأما هم (أي المشركون) فلم يجعلوه رباً.

وانظر إلى قول الكفار يوم القيمة: (تَالَّهُ إِنْ كَنَا لَفِي ضَلَالٍ مِّنْ إِذْ نَسُوْيْكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) أي في جعلكم أرباباً - كما هو ظاهر - .

ويقول الله تعالى في آية الميثاق: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلِّي﴾، فلو كان الإقرار بالربوبية غير كاف وكان متحققاً عند المشركين ولكنه لا ينفعهم ما صح أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا، ولا صح أن يقولوا يوم القيمة: ﴿إِنَا كَنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، وكان الواجب أن يغير الله عبارة الميثاق إلى ما يوجب اعترافهم بتوحيد الألوهية حيث إن توحيد الربوبية غير كاف، لكنه اكتفى منهم بتوحيد الربوبية، ولو لم يكونوا متلازمين لطلب إقرارهم بتوحيد الألوهية أيضاً.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾، فإنَّهُ إِلَهٌ فِي الْأَرْضِ وَلَوْلَمْ يَكُنْ فِيهَا مَنْ يَعْبُدُهُ كَمَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَإِنْ قَالُوا: إِنَّهُ مَعْبُودٌ فِيهَا أَيُّ مَسْتَحْقٍ لِلْعِبَادَةِ، قُلُّنَا: إِذْنٌ لَا فَرْقٌ بَيْنَ إِلَهٍ وَالرَّبِّ، فَإِنَّ الْمَسْتَحْقَ لِلْعِبَادَةِ هُوَ الرَّبُّ لَا غَيْرُهُ.

وَمَا كَانَتْ مَحَاوِرَةً فَرْعَوْنَ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَّا فِي الرِّبُوبِيَّةِ وَقَدْ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعُلَى﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلُنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾.

أَمَّا السُّنَّةُ: فَسُؤَالُ الْمُلْكِيْنَ لِلْمَيْتِ عَنْ رِبِّهِ لَا عَنْ إِلَهِهِ، لَأَنَّهُمْ لَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْإِلَهِ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى مَذْهَبِ هُؤُلَاءِ أَنْ يَقُولُوا لِلْمَيْتِ: مَنْ إِلَهُكَ لَا مِنْ رَبِّكَ!! أَوْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هَذَا وَذَلِكَ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مِنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ الزَّمَرُ: ٣ فَالنَّكِيرُ قَامَ عَلَيْهِمْ لِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ أَوْلَأَ، ثُمَّ صَرَّحَ هَذَا النَّصُّ لَنَا بِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ أُولَئِكَ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ زَلْفَى﴾ وَتَسْلِيمُنَا جَدَلًا بِأَنَّهُ مَقْرَبُ بَقْلَبِهِ بِأَنَّهُ مُعْتَرِفٌ بِوُجُودِ اللَّهِ!! وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ الْخَصْمُ (تَوْحِيدُ الرِّبُوبِيَّةِ) وَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ كَمَا تَرَوْنَ بِأَنَّهُ (كَاذِبٌ كَفَّارٌ).

وَأَمَّا الْلُّغَةُ وَالْعُرْفُ فَلَمْ يَرِدْ عَنْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سِنْتَهُ الْوَاسِعَةِ أَنَّهُ سَمَاهُمْ مُوْحِدِينَ لِلرِّبُوبِيَّةِ، وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَافَةِ أَنَّهُ قَالَ فِي حَقِّهِمْ أَوْ عَنْهُمْ (إِيمَانٌ دونَ إِيمَانٍ) مُثَلُّ مَا نَقْلَ عنْ بَعْضِهِمْ كَابِنُ عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا وَغَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ الْأَمْوَارِ (كَفَرُ دُونَ كَفَرٍ) وَهَذَا مَا يُؤكِّدُ لَنَا وَيَدِلُّ بِأَنَّ الْلُّغَةَ الَّتِي كَانَ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يُنْطِقُونَ بِهَا وَالْعُرْفُ الَّذِي كَانَ سَائِداً بَيْنَهُمْ يَنْعَنِي إِطْلَاقُ مَوْهِدٍ أَوْ تَوْحِيدٍ رِبُوبِيَّةٍ عَلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ.

ثُمَّ إِنَّ الإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ وَالْعِقِيدَةَ هُوَ (مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ) وَتَعْرِيفُ

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الإيمان والتوحيد واضح من حديث سيدنا جبريل في السؤال عنه الذي رواه مسلم، وظاهر في كتب التوحيد التي نصت على أن الإيمان أو الدخول في التوحيد هو (الإتيان بالشهادتين لسانا مع الإقرار القلبي بكل ما جاء عن الله تعالى ورسوله مع الإذعان) فأين ذلك من ذا، وبذلك يتضح جليا بطلان ما ذهب إليه المخالف وادعاه، والله الموفق

فمن رافقه التوفيق وفارقها الخذلان ونظر في المسألة نظر الباحث المنصف علم يقينا علما لا تختاله ريبة أن مسمى العبادة شرعا لا يدخل فيه شيء مما عداه، كالتوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلا، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم أو صفة من صفاتها الخاصة بها.

فلا محل إذا لأن نتهم المسلمين بالشرك أو اتهامهم بأنهم أشد شركاً من مشركي الجاهلية والذي بسببه أريقت دماء المسلمين، وكان هذا الفهم والتقييم ذريعة لتكفير المسلمين ونشوء التطرف، فلا أحد من المسلمين يعتقد أن هناك من يضر وينفع ابتداء واستقلالا إلا الله، فسوء الظن بهم أمر خطير.

ألم تر أن المشركين يعتقدون التأثير والتدبير لغير الله فيقولون: (أمطRNA بنوء كذا ونوء كذا) ولو كانوا يقررون بتوحيد الربوبية كما زعموا لما قال لهم المولى سبحانه: ﴿يَا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ البقرة: ٢١، بل كان اللازم أن يقول لهم: - اعبدوا إلهمكم - .

لقد شاع تقسيم التوحيد إلى:

١ - التوحيد في الربوبية.

٢ - التوحيد في الألوهية.

فالتوحيد في الربوبية يعني الاعتقاد بخلق واحد لهذا الكون كان موضع اتفاق جميع

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

مشركي عهد الرسالة.

وأمام التوحيد في الألوهية فهو التوحيد في العبادة الذي يعني منه أن لا يعبد سوى الله، وقد انصبّ جهد الرسول الكريم على هذا الأمر.

والحق أنّ اتفاق جميع مشركي عهد الرسالة في مسألة التوحيد الخالقي ليس موضع شك، ولكن **تسمية التوحيد الخالقي بالتوحيد الربوي خطأً وابتداه**.

وذلك لأنّ معنى «الربوبية» ليس هو الخالقية فقط كما توهم هذا الفريق، بل هو - كما أوضحنا وبينًا سلفًا - مايفيد التدبير وإدارة العالم، وتصريف شؤونه ولم يكن هذا - كما بينا - موضع اتفاق بين جميع المشركين والوثنيين في عهد الرسالة كما ادعى هذا الفريق.

نعم كان فريق من مثقفي الجاهليين يعتقدون بعدم وجود مدبر سوى الله ولكن كانت تقابلهم جماعات كبيرة من يعتقدون ببعض المدبرين والتدبirs، وهي قضية تستفاد من الآيات القرآنية مضامنها إلى المصادر المقدمة.

وي يكن القول بعبارات أخرى: لقد كان بين المشركين في ذلك العصر من كان يعاني اخراجاً وشذوذًا في توحيد الربوبية، ويعتقد ببعض المدبرين رغم كونه معتقدًا بوحدة الخالق.

ولقد كان الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وآلـهـ منهم الدهريون المنكرون للبعث ومنهم الملحدون والمشركون (الذين يشركون مع الله في التدبير بعض خلقه من أوثانهم) وأهل الكتاب (المعددون للآلهة) ومع ذلك فالسلفية يظهرون الكفار وكأنهم فرقـةـ واحدة !!

فلا يكن - أبداً - أن نفسـرـ الـربـ فيـ هـذـهـ الآـيـاتـ بالـخـالـقـ وـالـمـوـجـدـ.

وإليك بعض هذه الآيات:

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

أ - «**بَلْ رَيْكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ**» (الأنبياء - ٥٦). فلو كان المقصود من رب هنا هو الخالق والموجد وكانت جملة (الذي فطـرـهـنـ) زائدة بدليل أنـنا لو وضعنا لفظة الخالق مكان الرب في الآية للمسـنـا عدم الاحتـياـجـ . حـيـنـتـ . إـلـىـ الجـمـلـةـ المـذـكـورـةـ (أـعـنيـ : الـذـيـ فـطـرـهـنـ)ـ بـخـلـافـ ماـ إـذـاـ فـسـرـ الـربـ بـالـمـدـبـرـ وـالـمـتـصـرـفـ فـفـيـ هـذـهـ الصـورـةـ تـكـوـنـ الجـمـلـةـ الـأـخـيـرـةـ مـطـلـوـبـةـ ،ـ لـأـنـهـاـ تـكـوـنـ .ـ حـيـنـتـ .ـ عـلـةـ لـلـجـمـلـةـ الـأـوـلـىـ ،ـ فـعـنـيـ هـكـذـاـ :ـ أـنـ خـالـقـ الـكـوـنـ هـوـ الـمـتـصـرـفـ فـفـيـ وـهـوـ الـمـالـكـ لـتـدـبـيرـهـ وـالـقـائـمـ بـإـدارـتـهـ.

ب - «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**» البقرة - ٢١). فـانـ لـفـظـةـ الـرـبـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ لـيـسـ بـعـنـيـ «ـ الـخـالـقـ»ـ وـذـلـكـ عـلـىـ غـرـارـ ماـ قـلـنـاهـ فـيـ الـآـيـةـ الـمـتـقـدـمـةـ الـمـشـابـهـةـ لـمـاـ نـحـنـ فـيـهـ ؛ـ إـذـ لـوـ كـانـ الـرـبـ بـعـنـيـ الـخـالـقـ لـاـ كـانـ لـذـكـرـ جـمـلـةـ «ـ الـذـيـ خـلـقـكـمـ»ـ وـجـهـ ،ـ بـخـلـافـ ماـ إـذـاـ قـلـنـاـ بـأـنـ الـرـبـ يـعـنـيـ الـمـدـبـرـ فـتـكـوـنـ جـمـلـةـ «ـ الـذـيـ خـلـقـكـمـ»ـ عـلـةـ لـلـتـوـحـيدـ فـيـ الـرـبـوـبـيـةـ ،ـ إـذـ يـكـوـنـ الـمـعـنـيـ حـيـنـتـ هـوـ :ـ أـنـ الـذـيـ خـلـقـكـمـ هـوـ مـدـبـرـكـمـ.

ج - «**فُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**» (الأنعام - ١٦٤). وهذه الآية حاكـيـةـ عنـ أـنـ مـشـرـكـيـ عـصـرـ الرـسـالـةـ كـانـوـاـ عـلـىـ خـلـافـ معـ الرـسـوـلـ الـكـرـيـمـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـرـبـوـبـيـةـ عـلـىـ نـحـوـ مـنـ الـأـنـحـاءـ وـأـنـ الـنـبـيـ الـأـعـظـمـ كـانـ مـكـلـفـاـ بـأـنـ يـقـنـدـ رـأـيـهـمـ وـيـبـطـلـ عـقـيـدـهـمـ وـلـاـ يـتـخـذـ غـيـرـ اللـهـ رـبـاـ عـلـىـ خـلـافـ ماـ كـانـوـاـ عـلـيـهـ.ـ وـمـنـ الـمـحـتمـ أـنـ خـلـافـ الـنـبـيـ مـعـ الـمـشـرـكـيـنـ لـمـ يـكـنـ حـولـ مـسـأـلـةـ «ـ التـوـحـيدـ فـيـ الـخـالـقـيـةـ»ـ بـدـلـيلـ أـنـ الـآـيـاتـ السـابـقـةـ تـشـهـدـ فـيـ غـيـرـ إـبـاهـ بـأـنـهـمـ كـانـوـاـ يـعـتـرـفـونـ بـأـنـهـ لـاـ خـالـقـ سـوـيـ اللـهـ تـعـالـىـ ،ـ وـلـذـلـكـ فـلاـ مـنـاصـ مـنـ الـإـذـعـانـ بـأـنـ الـخـلـافـ الـمـذـكـورـ كـانـ فـيـ غـيـرـ مـسـأـلـةـ الـخـالـقـيـةـ وـلـيـسـ هـيـ إـلـاـ مـسـأـلـةـ تـدـبـيرـ الـكـوـنـ ،ـ بـعـضـهـ أـوـ كـلـهـ.

د - «**أَلَسْتُ يَرَكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**» (الأعراف - ١٧٢). فقد أخذ الله في هذه الآية - من جميع البشر - الإقرار بالتوحيد الربـوـبـيـ وـكـانـتـ عـلـةـ ذـلـكـ هـيـ مـاـذـكـرـهـ مـنـ أـنـهـ سـيـحـتـجـ عـلـىـ عـبـادـهـ بـهـذـاـ الـمـيـثـاقـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

كما يقول : «أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ أَبَاوْنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرَيْةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطَلُونَ» (الأعراف - ١٧٣). إذا تبيّن هذا فنقول : إنّ نزول هذه الآية في بيته مشركة دليل - ولاشك - على وجود فريق متعدّ به في تلك البيئة كانوا يخالفون هذا الميثاق ، فإذا كانت الربوبية بمعنى الخالقية استلزم ذلك أن يكون في تلك البيئة من يخالفون النبي في الخالقية ، ولكن الفرض هو عدم وجود أي اختلاف في مسألة «توحيد الخالقية» في عصر الرسالة فلم يكن المشركون في ذلك العصر مخالفين في هذه المسألة ليعتبروا مخالفين للميثاق المذكور ؛ فلا محيسن - حينئذ - من أنّ الخلاف كان - آنذاك - في مسألة تدبير العالم وإدارة الكون. وبهذا التقرير يكون معنى الرب في الآية المبحوثة هنا هو المدير.

هـ - إنّ البرهان الواضح على أنّ مقام الربوبية هو مقام المديرية وليس الخالقية فقط كما يتوهّم ، هو الآية المتكرّرة في سورة الرحمن : «فَبِأَيِّ أَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانَ». فقد وردت هذه الآية في السورة المذكورة ٣١ مرة وجاءت لفظة ربّ جنباً إلى جنب مع لفظة الآلاء التي تعني النعم ، وغير خفي أنّ قضية النعمة مع التذكير بمقام ربوبية الله لحياة البشر وحفظها من الفناء أنسّب وأكثر انسجاماً ، إذ ذكر النعم (التي هي من شعب التربية الإلهية التي يولّيها سبحانه للبشر) يناسب موضوع التربية والتدبير الذي تدرج فيه إدامة النعم وإدامة الإفاضة.

طـ - لقد اقترنت مسألة الشكر مع لفظة الرب في خمسة موارد في القرآن الكريم ، والشكر إنّما يكون في مقابل النعمة التي هي سبب بقاء الحياة الإنسانية ودوامها وحفظها من الفناء وصيانتها من الفساد ، وليس حقيقة تدبير الإنسان إلا إدامة حياته وحفظها من الفساد والفناء. وإليك هذه الموارد :

﴿وَإِذْ تَأْذَنَ رَبِّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم -

.٧

﴿وَقَالَ رَبٌّ أُوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالَّدَيَّ﴾ النمل -

﴿قالَ هذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَلْوُغِي أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾
النمل - ٤٠. ﴿قَالَ رَبُّ أُوزْعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِّدَيَّ﴾^{الأحقاف} - ١٥. ﴿كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةً طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٍ﴾
سبأ - ١٥.

ي - وما يدل على ما قلناه قوله سبحانه : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَاراً
يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَمْلِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ
أَنْهَاراً﴾^{نوح} : ١٢-١٠. ومثله في سورة هود الآية ٥٢. وهكذا : يلاحظ القارئ الكريم
كيف جعلت إدارة الكون وتدبير شؤونه تفسيراً للرب : فهو الذي يرسل المطر، وهو
الذي يمد بالآموال والبنين، وهو الذي يجعل الجنات، وهو الذي يجعل الأنهر، وكل
هذه الأمور جوانب وصور من التدبير.

من هذا البحث الموسّع يمكن أن نستنتج أمرين :

- ١ - أن ربوبية الله عبارة عن مدبريته تعالى للعالم لا عن خالقيته فقط ، فهي تشمل
الخلق والتدبير.
- ٢ - دلت الآيات المذكورة في هذا البحث على أن مسألة «التوحيد في التدبير» لم
تكن موضع اتفاق بخلاف مسألة «التوحيد في الخالقية» وأنه كان في التاريخ ثلاثة فريق
يعتقد بمدبرية غير الله للكون كله أو بعضه ، وكانوا يخضعون أمامها باعتقاد أنها أرباب.
وبما أن الربوبية في التشريع غير الربوبية في التكوين فيمكن أن
يكون بعض الفرق موحداً في الثاني ، ومشركاً في القسم الأول فالليهود
والنصارى تورطوا في «الشرك الربوبي» التشريعي لأنهم أعطوا زمام
التقين والتشريع إلى الأحبار والرهبان وجعلوه أرباباً من هذه الجهة ،
فكأنه فوض أمر التشريع إليهم !!!، ومن المعروف أن التقين والتشريع
من أفعاله سبحانه خاصة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

فها هو القرآن يقول عنهم: ﴿ اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبية - ٣١. ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ آل عمران - ٦٤ . في حين أن الشرك في الربوبية لدى فريق آخر ما كان ينحصر بهذه الدائرة بل تمثل في إسناد تدبير بعض جوانب الكون، وشؤون العالم إلى الملائكة والجن والأرواح المقدسة أو الأجرام السماوية، ولكن مسألة الشرك في الربوبية تمثلت في الأغلب في تسليم بعض الأمور الكونية إلى بعض خيار العباد والملائقات. إن الآيات الدالة على هذه النتيجة - في الحقيقة - أكثر من أن يمكن سردتها. اهـ^(١)

شبهة أخيرة:

تبقى شبهة حاصلها أن هذا التقسيم تقسيم اصطلاحي لا يفترق عن تقسيم النحوين للكلمة إلى اسم و فعل وحرف ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

ويجيب عن هذا من أوجه :

الأول : قولهم إن هذا التقسيم لا يعدو أن يكون من باب تقسيم النحوين للكلمة مطروح ؛ حيث إن تقسيم النحوين للكلمة هو تقسيم استقرائي صحيح ، الغرض منه تقريب العلم للدارسين.

أما هذا التقسيم المبتدع للتوحيد ينقضه الاستقراء كما تقدم ، بل يترتب عليه نتيجة خطيرة هي رمي المسلمين الموحدين بالشرك وعدم تحقيق توحيد الإلهية مما يعني مساواتهم بشركى الجاهلية على كلام أصحاب هذه المقوله ، واخترعوا أسماء لهم ينبدونهم بها مثل القبورية ظناً منهم أنهم يعبدونها.

الثاني : نص العلماء أن مجرد تغيير الاصطلاح من غير فائدة في قوة الخطأ ، فكيف بإنشاء اصطلاح مغاير أساسا لما قررته قواعد الشريعة حيث إنه يفرق بين المتلازمات

(١) التوحيد والشرك في القرآن الكريم : ص ٥٨ : ٦٨

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الشرعية.

الثالث: لابد للاصطلاح من فائدة وغرض صحيح لإنشائه وإنما فهو عبث يتحرز عن مثله، وإذا استرسلنا مع أهل هذه الدعوى في البحث عن الفائدة التي تترتب على تقسيمهم هذا فلن نجد إلا الحكم على أهل القبلة بالإشراك، وهذه نتيجة لا محيد عنها - خاصة مع نفي الكثير منهم لا سيما متأخرتهم أنهم يكفرون عباد القبور (القبوريين) على اصطلاحهم الباطل بل هم عندهم مسلمون حتى تقام عليهم الحجة!!!!، فليت شعري أهم مسلمون أم مشركون أم مشركون مع إيقاف التنفيذ؟!!!!

[أول واجب عند الأشاعرة]

ثم يقول الدكتور سفر:

أما أول واجب عند الأشاعرة فهو النظر أو القصد إلى النظر أو أول جزء من النظر أو.. إلى آخر فلسفتهم المختلف فيها وعندهم أن الإنسان إذا بلغ سن التكليف وجب عليه النظر ثم الإيان واختلفوا فيما مات قبل النظر أو في أثناءه، أ الحكم له بالإسلام أم بالكفر؟!

التعليق:

الذي عليه جمهور أهل العلم، ومنهم مالك والأشعري، أن أول الواجبات هو العلم بالله ورسوله ودينه، أي العلم بما يجب له، وما يجوز في حقه، وما يستحيل عليه، وكذا فيما يتعلق بالرسول والدين. والواجب المشار إليه هنا هو الصفة الواجبة له تعالى كالقدرة، والنسبة كثبوت القدرة له تعالى.

وقال بعض العلماء أول واجب هو النظر، وبعضُّه: القصدُ إلى النّظر، وبعضُّه: أول جزء من النّظر، ولا تظنَّ أنَّ هذا اختلافٌ وخلافٌ حقيقٌ حاصل بين العلماء، لتقولَ بعد ذلك: إذا كان الخلاف كبيراً في أول الواجبات، فكيف في بقية العقائد؟! وكيف في الفقه؟! بل كلَّ هذه الأقوال تصبُّ في مصبٍّ واحدٍ وتقويُّ فهم علم التوحيد في نفوس الناس، والاختلاف بينها ظاهريٌّ فقط.

فالذى قال أول الواجبات النطق بالشهادتين، قصد أنه لا يمكن تحريم دم الكافر الأصلي ومعاملته كالمسلم إلا إذا نطق بهما، فهو أول أمر يجب أن يبادر الإنسان به ليعلن براءته من الكفر، ودخوله في الإسلام. والذى قال: أول الواجبات العلم بالله وبرسوله وبالدين؛ قصد أنه لا يمكن أن ينطق بالشهادتين نطقاً معتبراً عند الله تعالى إلا إذا كان عالماً ولو بشكل إجمالي بما ذكر؛ ليصح نطقه بكلمة التوحيد مع العلم بمعناها،

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويصحّ اعتقاده كذلك. والذي قال: أول الواجبات هو النّظر، إنما قال ذلك؛ لأنّ الإنسان يصعبُ عليه عادة أن يصل إلى الحقّ إلا بالنظر والتفكير ولو إجمالاً، فعندما يفكر يصل إلى العلم فينطق بكلمة التوحيد. والذي قال: أول واجب هو القصد إلى النّظر؛ فلأنّ الإنسان لا يمكن أن ينظر فعلاً إلا إذا نوى ذلك وعزم عليه، فأعطي السبب حكم النتيجة، وكذلك الذي قال: هو أول جزء من النظر؛ فلأنّ النظر مكون من أجزاء متربّة ولا يمكن أن يبدأ بالجزء الثاني إلا إذا أتمّ النظر في الجزء الأول.

وهكذا نرى أنّ كثيراً من أقوال علماء الشريعة التي ظاهرها التناقض والتضاد، حقيقتها التكامل والاتفاق.

[الكلام على الاستدلال بالفطرة]

ثم يقول الدكتور سفر:

وينكر الأشاعرة المعرفة الفطرية ويقولون إن من آمن بالله بغير طريق النظر فإنما هو مقلد ورجم بعضهم كفره واكتفى بعضهم بتعصيته، وهذا ما خالفهم فيه الحافظ ابن حجر رحمه الله ونقل أقوالاً كثيرةً في الرد عليهم وإن لازم قولهم تكفير العوام بل تكفير الصدر الأول.

التعليق:

كلام يتلقفونه ويكررونها بلا فهم حاصله أنه لا حاجة للناس إلى الاستدلال ولا حاجة لهم إلى علم الكلام، ويستدلون على ذلك بقولهم إن وجود الله تعالى أمر فطري مفطور عليه الإنسان، بل يقولون إن كل العقائد مركبة في الإنسان ولذلك نجدهم يستدللون على عقائدهم بالفطرة !

وأدلة لهم في ذلك :

قوله تعالى ﴿فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»، من غير إكمال للحديث كما سنبين على طريقة ولا تقربوا الصلاة.

ويوردون الحديث القدسي « وإنني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ».«.

ذكر الراغب الأصفهاني هذا المعنى في المفردات، ثم قال: وفطرت العجين إذا عجنته فخربته من وقته، ومنه الفطرة، وفطر الله الخلق، وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مرشحة لفعلٍ من الأفعال.أهـ

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

فالفطرة معناها اللغوي الذي هو استعمال الحديث الشريف أيضاً معناها القوة أو الاستعداد أو القبول للدين وهذا يولد به الإنسان. ولهذا قال الاصفهاني : « وفطرة الله هي ما ركز فيه من قوته على معرفة الإيمان. » اه

وفي شرح الإمام النووي قال في معنى الفطرة : « والأصح أن معناه أن كل مولود يولد متهيئاً للإسلام ، فمن كان أبواه أو أحدهما مسلماً استمر على الإسلام في أحكام الآخرة والدنيا ، وإن كان أبواه كافرين جرى عليه حكمهما في أحكام الدنيا ، وهذا معنى يهودانه وينصرانه ، أي يحكم له بحكمهما في الدنيا ، فإن بلغ استمر عليه حكم الكفر ودينهما فإن كانت سبقة له سعادة أسلم ، وإلا مات على كفره » اه

وأما حديث « كل مولود » ففي نهايته كما في بعض الروايات الصحيحة التي رواها الإمام مسلم وغيره كالبيهقي ، وذكرها الإمام السيوطي في الجامع الصغير.. يقول الرسول ﷺ بعد قوله « يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، « فإن كانا مسلمين فمسلم ». هذه الزيادة توضح بجلاء أن الطفل تابع في التأثر للأبوين ويلتحق بهما في الحكم إن كانوا يهوديين أو نصرانيين أو مجوسين ، وكذلك إن كانوا مسلمين فمسلم ، وهذا يبين بجلاء أن الفطرة في الحديث لا تعني ما يريد المتمسلفة وهذا يدل على أن الطفل في الأصل لا يقال له مسلم أو كافر ، ولكن الحكم عليه بالكافر أو الإيمان أي الإسلام ، إنما هو حكم تبعي إلحاقي لا أصلي ، أي أن حاله يلحق بحال والديه أو الدار التي وجد فيها أو غير ذلك ، مما هو مذكور في كتب الفقه .

يقول الإمام المناوي في فيض القدير(٣٣/٥) : «(كل مولود) من بنى آدم (يولد على الفطرة) اللام للعهد ، والمعهود فطرة الله التي فطر الناس عليها ، أي الخلقة التي خلق الناس عليها ، من الاستعداد لقبول الدين والتهيؤ للتجلّي بالحق وقبول الاستعداد والتأيي عن الباطل والتمييز بين الخطأ والصواب (حتى يعرب عنه لسانه) فحينئذ إن ترك بحالة وخلي وطبعه ولم يتعرض له من الخارج مَنْ يصدِّه عن النظر الصحيح من فساد

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

التربية وتقليل الأبوين والإلف بالمحسوسات والانهماك في الشهوات ونحو ذلك، لينظر فيما نصب من الدلالة الجلية على التوحيد وصدق الرسول ﷺ، وغير ذلك نظراً صحيحاً يوصله إلى الحق وإلى الرشد، عرف الصواب ولزم ما طبع عليه في الأصل ولم يختر إلا الملة الخنيفية، وإن لم يُترك بحاله بأن كان أبواه نحو يهوديين أو نصاريين (أباواه) هما اللذان (يهودانه) أي يصيرانه يهودياً بأن يدخله في دين اليهودية المحرف المبدل بتفوييthem له (أو ينصرانه) أي يصيرانه نصرياناً (أو يجسانه). اهـ

أما كون هذه الفطرة نوعاً من المعارف فمن أبطل الباطل لأنه مخالف للواقع المشاهد ومخالف لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بَطْوَنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

فإن قصد أن هذه القابلية قد تعين بعض الناس في معرفة الله فمسلم أما أنها كافية بمجردها فلا، وكلامنا في الدليل الذي يتعين قبوله من كل الناس، وهذا لا يكون إلا بالنظر، وهو عين كلام الأعرابي البعثة تدل على البعير والأثر يدل على المسير... إلخ.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

[مسألة الإيمان]

ثم يقول الدكتور سفر:

الرابع: الإيمان

الأشاعرة في الإيمان مرحلة جهمية أجمعوا كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه، قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

وقد رجح الشيخ حسن أيوب من المعاصرين أن المصدق بقلبه ناج عند الله وإن لم ينطق بهما ومال إليه البوطي، فعلى كلامهم لا داعي لحرص النبي ﷺ أن يقول عمه أبو طالب لا إله إلا الله لأنه لاشك في تصديقه له بقلبه، وهو ومن شابهه على مذهبهم من أهل الجنة!!

هذا وقد أتوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقضاته أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان.

ولهذا أطالشيخ الإسلام رحمه الله الرد عليهم بأسمائهم كالأشعرى والباقلانى والجوينى وشرح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهم بعينه، وفي رسالتى فصل طويل عن هذه القضية فلا أطيل به هنا.

تقرير مذهب الأشاعرة إجمالاً:

الإيمان لغة مطلق التصديق.

الإيمان شرعاً تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة، والمراد

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

بتصديق النبي ﷺ في ذلك الإذعان لما جاء به والقبول له وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له.

والنطق بالشهادتين للمتمكن منه القادر عليه محل خلاف، فقالت طائفة هو شرط في الإيمان وهو قول محقق الأشاعرة والماتريدية، أي هو خارج عن ماهية الإيمان لكن يلزم من عدمه العدم.

والمراد أنه شرط في إجراء الأحكام الدنيوية الخاصة بالمؤمنين كالتراث والتناكح والصلة خلفه إلخ أن التصديق القلبي وإن كان إيمانا إلا أنه باطن خفي لابد له من علامة ظاهرة تدل عليه، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء مؤمن عند الله كافر في أحكام الدنيا، أما المدعور فإن قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة فهو مؤمن فيهما، وأما الآبى بأن طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة.

ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمافق فهو مؤمن في أحكام الدنيا لا عند الله تعالى ما لم يطلع على كفره بعلامة كسجود لصنم فتجرى عليه أحكام الكفر.

والعمل في الإيمان شرط كمال على المختار، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن لكنه فوت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال، أو عناد للشارع، أو شك في مشروعيته، وإلا فهو كافر فيما علم بالدين بالضرورة.

وقال قوم من المحققين إن الإقرار بالشهادتين شطر أي ركن لا شرط فعدهم الإيمان اسم لعملي القلب واللسان جمياً وهم التصديق والإقرار.

وذهب طائفة إلى أن العمل شطر من الإيمان لأنهم يقولون إن مسمى الإيمان: تصديق القلب والإقرار باللسان وعمل سائر الجوارح، فماهيته على هذا مركبة من أمور ثلاثة: إقرار باللسان، وتصديق بالجناح، وعمل بالأركان، فمن أخل بشيء منها فهو كافر، وهذا قول الخوارج، ولذا كفروا بالذنب لاتفاقه جزء

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الماهية، فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان، ويرد بأن الإيمان لغة التصديق فيستعمل شرعاً في تصديق خاص ولا دليل على نقله للثلاثة، كما أن النقل خلاف الأصل، وقد دلت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي، وعلى أن الإيمان والعمل الصالح متغايران، وعلى أن الإيمان والمعاصي يجتمعان كقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم، وكقوله تعالى: الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإن الأصل أن العطف للمغايرة، وكقوله تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم، بظلم بناء على أن المراد بالظلم المعصية فقد افتضى بمفهومه اجتماع الإيمان مع الظلم الذي هو المعصية.

كما أن الإجماع على أن الإيمان شرط العبادات، والشرط مغایر للمشروع ضرورة^(١).

ومن كلام العلامة البيجوري في شرحه قول صاحب الجوهرة
وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق
قوله بالتصديق أي الت

صديق المعهود شرعاً وهو تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به وعلم من الدين بالضرورة أي علم من أدلة الدين بشبه الضرورة فهو نظري في الأصل إلا أنه لما اشتهر صار ملحقاً بالضروري بجامع الجزم في كل من العام والخاص من غير قبول للتشكيك، والمراد بتصديق النبي ﷺ في ذلك: الإذعان لما جاء به والقبول له وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ ومصدق ذلك قوله تعالى يعرفونه كما

(١) راجع لما سبق حاشية البيجوري على الجوهرة من ص ٢٧ : ٣٢، المسيرة للكمال بن الهمام، شرح اللقاني على الجوهرة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

يعرفون أبناءهم قال عبد الله بن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي
لحمد أشد اهـ، ويكتفي الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالا كالإيمان بغالب الأنبياء
والملائكة ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلا كالإيمان بجمع من الأنبياء
والملائكة، فالجمع الذين يجب معرفتهم تفصيلا من الأنبياء خمسة وعشرون... وبالجملة
فالإيمان شرعا هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ ما علم من الدين بالضرورة
إجمالا في الإجمالي وتفصيلا في التفصيلي، وأما لغة فهو مطلق التصديق ومنه قوله
تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق.

(قوله والنطق فيه الخلف) أي وفي النطق بالشهادتين للمتمكن منه وهو القادر عليه
في جهة اعتبار مدخليته في الإيمان الاختلاف بين العلماء. ويراجع قام كلامه في الحاشية
المذكورة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

[القرآن]

ثم يقول الدكتور سفر:

« الخامس : القرآن :

وقد أفردت موضوعه لأهميته القصوى ، وهو نمذج بارز للمنهج الأشعري القائم على التلقيق الذي يسميه الأشاعرة المعاصرة « التوفيقية » حيث انتهج التوسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في كثير من الأصول فتناقض واضطرب .

فمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه جبريل وسمعه موسى عليه السلام ويسمعه الخلاق يوم القيمة .

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق ، أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية – التي لم يخالفها التوفيق – فرقوا بين المعنى واللفظ ، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدىي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء .

واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصراوي :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والمحروف – ومنها القرآن – فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة ، بل هي عبارة عن كلام الله النفسي ، والكلام النفسي شيء واحد في ذاته ، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل وإن جاء بالعربية فهو قرآن ، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه .

واختلفوا في القرآن خاصة فقال بعضهم : « إن الله خلقه أولاً في اللوح المحفوظ ثم

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا» فكان جبريل يقرأ هذا الكلام المخلوق ويبلغه محمد ﷺ، وقال آخرون: إن الله أفهم جبريل كلامه النفسي وأفهمه جبريل محمد ﷺ فالنزول نزول إعلام وإفهام لا نزول حركة وانتقال – لأنهم ينكرون علو الله – ثم اختلفوا في الذي عبر عن الكلام النفسي بهذا اللفظ والنظم العربي من هو؟ فقال بعضهم: هو جبريل، وقال بعضهم: بل هو محمد ﷺ!

واستدلوا بمثل قوله تعالى: «إنه لقول رسول كريم» في سوري الحاقة والانشقاق حيث أضافه في الأولى إلى محمد ﷺ، وفي الأخرى إلى جبريل بأن اللفظ لأحد الرسولين «جبريل أو محمد» وقد صرخ الباقلاني بالأول وتابعه الجوياني.

قال شيخ الإسلام: «وفي إضافته تعالى إلى هذا الرسول تارة وإلى هذا تارة دليل على أنه إضافة بлаг وآداء لا إضافة إحداث لشيء منه وإنشاء كما يقول بعض المبتدعة الأشعرية من أن حروفه ابتداء جبريل أو محمد مضهاة منهم في نصف قولهم لمن قال إنه قول البشر من مشركي العرب».

وعلى القول أن القرآن الذي نقرؤه في المصاحف مخلوق سار الأشاعرة المعاصرون وصرحوا، فكشفوا بذلك ما أراد شارح الجوهرة أن يستره حين قال: «يتعذر أن يقال إن القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم».

التعليق:

لم تحرر نقطة الخلاف كعادتك يا سفر، فالخلاف في الكلام وليس في القرآن، فلم تدلس؟!

وإليك التفصيل:

لما كان «الكلام» من جملة الصفات القائمة بذاته تعالى، وجب الكلام عليها، خصوصاً أن المعنى المشهور للكلام بين الناس هو ما كان بصوت وحرف صادرين من

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

المتكلم، وصدورهما يكون بالآلة معينة.

ومعلوم أن هذا المعنى للكلام لا يجوز نسبته إلى الله تعالى، لأن هذا يلزم منه قيام الحوادث في الذات الإلémية، ومعلوم أن الحدوث دليل النقص، ومن قام به الحادث، فهذا دليل على نقصانه في مرتبة الوجود، وهذا مستحيل في حق الله تعالى.

وقد ازداد الخلاف بين المسلمين في مسألة كلام الله تعالى، وظهرت حادثة، حتى إن كثيراً من التشنج الذي حل بالفلك الإسلامى وعقلية المسلمين كان من مستلزمات هذه المسألة، بل إن الناس صاروا يُصنّعون تبعاً لوقفهم من هذه المسألة وتبعاً لرأيهم الذي يرون فيها.

ولهذا كله، ولغيره، وجّب أن نبين حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

فكثير من الذين يعادون الأشاعرة والماتريدية - أهل السنة - فإنما يعادونهم ويعارضونهم نتيجة لعدم فهمهم لحقيقة رأي القوم في هذه المسألة.

وأيضاً فقد رأيتُ بعضاً من ينسبون إلى أهل السنة والجماعة لا يعرفون تقرير معنى مذهبهم في المسألة.

فالله تعالى موصوف بصفة الكلام اتفاقاً بين كثير من المسلمين، ومن تبقى منهم مخالفاً فإنه ينسب إلى الله تعالى الكلام على أنه فعل له لا على أنه صفة ذاتية وجودية قائمة بذاته تعالى.

وحاول العديد من العلماء الاستدلال على هذه الصفة بالأدلة العقلية، ليثبتوا أن العقل يمكن أن يقول بثبوت صفة الكلام لله تعالى حتى ولو لم ينزل الشرع بذلك.

وعارضهم غيرهم في ذلك وضعف أدتهم، وقرر أنها تقصير عن الوصول إلى درجة الإثبات المطلوبة، ولذلك مال جمهور الناس إلى الاعتماد على الدليل النطلي في

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

إثبات هذه الصفة.

والنصوص فيها القطع بنسبة الكلام إلى الله تعالى، وأما كون الكلام المنسوب إليه تعالى هو صفتة، فهذا ليس مأخوذاً من النقل على سبيل القطع، أي إن دلالة النقل على كون كلام الله تعالى صفة له قائمة بذاته هي دلالة لم ترق إلى مرتبة القطعيات.

وأهل السنة في قولهم بأن الكلام ثابت لله تعالى على سبيل أنه صفة له تعالى اعتمد على قواعد مستمددة من اللغة، ونوزعوا فيها، ولا مجال لتفصيل ذلك هنا.

وعضدو هذه القواعد اللغوية بأمور عرفية اشتهرت بين عامة المسلمين، وبعض الأدلة العقلية كما ذكرنا ذلك سابقاً، وأعلنوا أن الله تعالى موصوف بصفة الكلام، وقالوا إنها إحدى صفات الباري عز وجل. ونردهم تعالى في صفتة هذه عن سمات النقص كقيام الحوادث في ذاته تعالى، كالصوت والحرف وغير ذلك.

وقال أهل السنة في وصف هذه الصفة :

صفة أزلية قائمة بذاته تعالى منافية للسکوت والآفة، هو بها أمر ناه مخبر إلى غير ذلك، يدل عليها بالعبارة والكتابة والإشارة.

والدليل على هذه الصفة هو إخبار سائر الأنبياء عليهم السلام أن الله تعالى متalking، لا يوجد معنى لذلك إلا أنه تعالى متصرف بصفة الكلام.

والكلام الذي هو صفة له تعالى ليس حرفاً ولا صوتاً، بل هو كلام نفسي قائم بذاته تعالى، كسائر صفاته الثبوتية الأخرى.

واعلم أنَّ كلام الله تعالى الذي هو صفتة يسمى أيضاً (قرآن)، ومن هنا قال المشايخ: «القرآن كلام الله غير مخلوق»، وقيدوا عبارتهم بهذه بقولهم -كلام الله-. ليشيروا إلى أنَّ كلام الله تعالى الذي هو صفتة يسمى قرآن، وما كان كذلك أي ما كان صفة للباري، يستحيل أن يكون مخلوقاً.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

والمنزل على سيدنا محمد ﷺ عبارة عن حروف وكلمات مقطّعات محدودات، وهو معيّر عن الصفة القائمة بذات الله تعالى.

ولهذا قال العلماء: القرآن كما أنه لفظ يطلق على الصفة الذاتية القائمة بذات الله تعالى وهي الكلام، فكذلك يطلق نفس الاسم على الكلام المنزّل على سيدنا محمد ﷺ إطلاقاً حقيقياً على الاثنين، فلفظ القرآن صار من قبيل الألفاظ المشتركة بين معنيين، فلا يوجد واحد من أهل السنة ينكر أن المكتوب في المصاحف هو كلام الله تعالى، ولكن بعضهم قال هو كلام الله حقيقة، والبعض قال: بل هو كلامه تعالى مجازاً؛ أي من حيث إنه دال على كلامه تعالى التفسيري.

وقد فهم من هذا أنه ما دام المكتوب في المصاحف كلامه مجازاً على رأي البعض فإنه يجوز نفيه، أي يجوز القول إنه ليس كلاماً لله تعالى؟! وهذا الفهم غلط محض، قائم ومن بن على كلام ردد المجسمة الخاضعين فيما لا يعلمون، حاصله أن المجاز يجوز نفيه.

فتراهم لذلك يكثرون من ترداد هذه العبارة في كتبهم وهم لا يفهمون حاصلها.

والتحقيق في الأمر أن المجاز من حيث إنه مجاز وباعتبار علاقاته اللغوية لا يجوز نفيه مطلقاً، بل نفيه غلط محض، ويدل على عجز في فهم كلام العرب.

وهكذا، فمن قال: إن المكتوب في المصاحف كلام الله مجازاً، لا يجوز أن يقول له قائل: إذا ليس هو كلاما لله.

لأنّ قائل هذه العبارة إنما قالها لأنّه يعتقد أنّ كلام الله لا يكون إلا صفة له، وإذا أطلقنا على فعل من أفعاله تعالى أنه كلام له، فإنّما يكون هذا الإطلاق جائزًا على سبيل المجاز، أي من حيث أنّ هذا الفعل يبيّن لنا عن كلامه تعالى القائم بذاته المقدّسة.

فمن قال راداً على القائل بالمجاز هنا: يلزم إذن أن يكون الكلام الموجود في المصاحف ليس كلاماً لله تعالى بل لغيره، فهو مخاطئ، لأنّه لا يلزم من كونه مجازاً، أن

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

يكون كلاماً لغيره، بل هو فعل من أفعال الله تعالى المنسوبة إليه ابتداء، فلا تنسب إلى غيره.

فلا يجوز أن يقال: إنَّه على ذلك يلزم أن يكون كلاماً لجبريل أو نَسِيْدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، لأنَّ هَذَا كُلُّهُ غَيْرُ لَازِمٍ.

هذا، مع أنَّ التحقيق الذي أشرنا إليه، أنَّ الكلام يطلق حقيقة على المكتوب في المصاحف، وعلى الصفة النفسية الأزلية القائمة بالذات المقدَّس⁽¹⁾.

ويطلق القرآن على ما في الصدور وعلى ما في اللوح المحفوظ وعلى المسموع بالصوت والحرف، قال تعالى في سورة العنكبوت ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيْنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْعِلْمَ﴾ ٤٩، وقال في سورة البروج ﴿بَلْ هُوَ قَرآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ٢١، ٢٢، وقال في سورة الأحقاف ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكُمْ نُفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرآنَ﴾ ٢٩.

قال الله تعالى في سورة المجادلة ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لَمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجِيُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعَدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ إِذَا جَاءُوكُمْ حَيُوكُمْ بِمَا لَمْ يَحِيكُمْ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يَعْذِبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلُوْنَهَا فَبِئْسُ الْمَصِيرُ﴾ ٨.

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرِّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ٢٠٥.

وروى البيهقي أيضاً في سنته الكبرى عن سليمان بن يسار أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما زوج ابنا له ابنة أخيه عبيد الله بن عمر وابنه صغير يومئذ ولم يفرض لها صداقاً فمكث الغلام ما مكث ثم مات فخاصم خال الجارية بن عمر إلى زيد بن ثابت فقال بن عمر لزيد إنني زوجت ابني وأنا أحدث نفسي أن أصنع به خيراً فمات قبل ذلك ولم يفرض للجارية صداقاً فقال زيد فلها الميراث إن كان للغلام مال وعليها العدة ولا

(١) أي أنه من قبيل المشترك اللغطي.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالى « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

صادق لها.

وفي مسند الإمام أحمد عن بن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني أحدث نفسي بالشيء لأن آخر من السماء أحب إلى من ان أتكلم به قال فقال النبي ﷺ الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة.

فالكلام في لغة العرب يكون لفظاً وحرفاً وفي النفس كما وردت الآيات مصرحة بالكلام النفسي وكذلك الأحاديث النبوية الصحيحة.

فعلام تلوم الأشاعرة يا سفر ولغة العرب تؤيدهم؟!

[الكلام على القدر]

ثم يقول الدكتور سفر:

السادس: القدر:

أراد الأشاعرة هنا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرة فجاءوا بنظرية الكسب وهي في مآلها جبرية خالصة لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو تأثير أما حقيقتها النظرية الفلسفية فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلاً عن إفهامها لغيرهم ولهذا قيل :

ما يقال ولا حقيقة تتحمه
معقوله تلدنو إلى الأفهام
الكسب عند الأشعري، والحال
عند البهشمي، وطفرة النظام

ولهذا قال الرازي الذي عجز هو الآخر عن فهمها: «إن الإنسان مجور في صورة مختار».

ومن هذا القبيل كلامهم في الاستطاعة، والحاصل أنهم في هذا الباب خرجوا عن المنقول والمعقول ولم يعربوا عن مذهبهم فضلاً عن البرهنة عليه !!

التعليق:

نعم قال الإمام الأشعري بالكسب وسيأتي مزيد بيان عند تعليقنا على السبيبة، وهو نص القرآن الكريم.

وقد أخطأ الدكتور سفر في قوله أرادوا أن يوفقوا بين الجبرية والقدرة، فمن أين فهم هذا؟

وهذا الغموض الذي يكتنف نظرية الكسب لا تفسير له إلا الفهم الخطأ لها، فإنما السنة أبو الحسن الأشعري حينما قال بالكسب لم يكن قصده أن يفسر سر القدر، بل أراد أن يقرر ما قرره القرآن الكريم في المسألة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

فمن فهمها على أن الأشعري فسر بها سر القدر وجد أن مسألة القدر ما زالت قائمة وغامضة : العبد يفعل والرب يخلق والحساب قائم.

ومن فهمها على أنها تقرير لما في القرآن الكريم وأن هذا القدر هو ما كشفه الله تعالى من السر الذي نهينا عن الخوض فيه ، فقد أراح واستراح.

وليعلم أن هناك فرقا هائلا بين مذهب الأشاعرة والجبرية يتمثل فيما تترتب عليه نصوص الوعد والوعيد ، فيبينما قال أهل السنة الأشاعرة بأن نصوص الوعد والوعيد على حقيقتها وأن العبد مؤاخذ ومحاسب على فعله نفي الجبرية ذلك ، ولم يقع الذم عليهم لأنهم قالوا بأن الله تعالى يخلق أفعال العبد.

قال الحافظ في الفتح : ج ٣١ ص ٢٩٠ :

وقال الكرماني : الجهمية فرقة من المبتدعة ينتسبون إلى جهم بن صفوان مقدم الطائفة القائلة أن لا قدرة للعبد أصلا وهم الجبرية بفتح الجيم وسكون الموحدة ، ومات مقتولا في زمن هشام بن عبد الملك انتهى **وليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة وإنما الذي اطبق السلف على ذمهم بسبب إنكار الصفات** .^١هـ

وقد ذكر الحافظ في الفتح مذهب الكسب على أنه قول لأهل السنة والجماعة فقال :

وذهب الجبرية إلى أن الكل فعل الله وليس للمخلوق فيه تأثير أصلا وتوسط أهل السنة فمنهم من قال أصل الفعل خلقه الله وللعبد قدرة غير مؤثرة في المقدور وأثبت بعضهم أن لها تأثيرا لكنه يسمى كسبا – ^(١).

(١) فتح الباري - ابن حجر ج ١١ ص ٤٢٩.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

- وقال المباركفوري في التحفة⁽¹⁾: هم الذين يقولون الإيمان قول بلا عمل فيؤخرون العمل عن القول وهذا غلط بل الحق أن المرجئة هم الجبرية القائلون بأن إضافة الفعل إلى العبد كإضافته إلى الجمادات سموا بذلك لأنهم يؤخرون أمر الله ونهيه عن الاعتداد بهما ويرتكبون الكبائر فهم على الإفراط والقدرة على التفريط والحق ما بينهما. انتهى

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته : وأفعال العباد هي بخلق الله وكسب من العباد.

ولقد جاءت آيات القرآن الكريم بلفظ الكسب بعينه ، قال الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: من الآية ٢٨٦) ، وقال تعالى : ﴿كُلُّ امْرَئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ، وقال تعالى ﴿ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ ، وقال تعالى : ﴿أَوْ كَسَبَتِ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام ١٥٨ ، وقال تعالى ﴿وَلَكُنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ﴾ وغيرها من الآيات الناطقة الشاهدة بصفة هذا المذهب ، ولتعلم أن القدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملك مقرب أونبي مرسلا عن علماء الأمة ومتكلميها ، فالقدر تعلق قدرة الله تعالى بأفعال العباد ، والله سبحانه تعالى خارج عن إدراك البشر ، ومع ورود الآيات بالكسب فقد وردت بأن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى : قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وقال ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ، وقد دلت آيات القرآن أيضاً على أن المكلف مختار في أفعاله غير مجبر عليها ولا مقهور : قال الله تعالى ﴿وَهُدِينَاهُ النُّجُدَيْنَ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرُوا إِمَّا كَافُورًا﴾ ، وبكل هذه الآيات ومدلولاتها قال الأشاعرة وفوضوا أمر القدر لله تعالى ، **فلا أدرى أي خطأ أخطأه الأشاعرة اللهم إلا ما وقع من فهم مخالفتهم وتصورهم الخطئ عن مذهبهم.**

فملخص الأمر : أن الخالق لأعمالنا هو الله سبحانه وتعالى لقوله : «والله خلقكم

(1) تحفة الأحوذى - ج ٦ ص ٣٠٢.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وما تعلمون» أفترى أنك تخلق عملك؟ فالخالق هو الله، ولكن الإنسان يكسب عمله لقوله تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» فكسب الإنسان مترتب على نيته وعزمها، وقد أيدت الأحاديث هذا المعنى، كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» قوله: «نية المؤمن خير من عمله». والإنسان مهياً لسلوك إحدى السبيلين لقوله تعالى: «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» فالقدرة يهبها الله للعبد بعد عقد النية والعزم فهو الخالق سبحانه والعبد كاسب بنيته، ويستحيل عقلاً إثبات خالقين لخلوق واحد.

فإن لم يعجبك هذا القول ففسر لنا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ولقد وفق الماتريدية في اختيار اللفظ حيث قالوا: إن العقل يحسن ويقبح ولكن لا ثواب ولا عقاب إلا بنص ، وهو مقصود الأشاعرة مع اختلاف العبارة.

[السببية وأفعال المخلوقات]

ثم يقول الدكتور سفر:

السابع : السببية وأفعال المخلوقات :

ينكر الأشاعرة الربط العادي بإطلاق وأن يكون شيء يؤثر في شيء وأنكروا كل «باء سببية» في القرآن، وكفروا ويدعوا من خالفهم وأخذهم فيها هو مأخذهم في القدر، فمثلاً عندهم: من قال إن النار تحرق بطبعها أو هي علة الإحراق فهو كافر مشرك، لأنه لا فاعل عندهم إلا الله مطلقاً حتى أن أحد نحاة الأندلس من دولة الموحدين التومرتية الأشعرية هدم «نظريه العامل» عند النحاة مدعياً أن الفاعل هو الله !!

قالوا إن الأسباب علاقات لا موجبات حتى أنهم يقولون: الرجل إذا كسر الزجاجة ما انكسرت بكسره وإنما انكسرت عند كسره، والنار إذا أحرقت ما تحرق ما احترق بسببها وإنما احترق عندها لا بها فالإنسان إذا أكل حتى شبع ما شبع بالأكل وإنما شبع عند الأكل.

ومن قال عندهم إن النار تحرق بقوة أودعها الله فيها فهو مبتدع ضال، قالوا: إن فاعل الإحراق هو الله ولكن فعله يقع مقترباً بشيء ظاهري مخلوق، فلا ارتباط عندهم بين سبب وسبب أصلاً وإنما المسألة اقتران كاقتران الزميلين من الأصدقاء في ذهابهما وإيابهما.

ومن متونهم في العقيدة:

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فلا تلتفت

والغريب أن هذا هو مذهب ما يسمى المدرسة الوضعية من المفكرين الغربيين
المحدثين ومن وافقهم من ملاحدة العرب، وما ذاك إلا لأن الأشاعرة والوضعيين
كلاهما ناقل عن الفكر الفلسفي الإغريقي.

التعليق:

اعلم أن مذهب أهل السنة هو أن التأثير أي الخلق والإيجاد إنما هو للواحد القهار
فلا تأثير لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية كالحركات والسكنات والقيام والقعود
ونحو ذلك، بل جميع ذلك مخلوق له سبحانه وتعالى بلا واسطة، كما أن قدرتنا مخلوقة
له تعالى لقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي وخلق عملكم.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى : الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وبين ما
يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ، بل كل شيئاً ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا إثبات
أحدهما متضمناً لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمناً لنفي الآخر ، فليس من ضرورة وجود
أحدهما ، وجود الآخر ، ولا من الضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الري
والشرب ، والسبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، الموت
وحز الرقبة ، والشفاء ، وشرب الدواء ، وإسهال البطن واستعمال المسهل ، وهلم جرا
إلى كل المشاهدات المقتربات في الطب ، والنجوم والصناعات والحرف»^(١).

فإن اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه ، يخلقها على التساوق لا لكونه ضرورياً
في نفسه ، غير قابل للغوث ، بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون

(١) تهافت الفلاسفة ج ١ ص ٤٤ ، ٤٥ .

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

جز الرقبة، وإدامة الحياة مع حز الرقبة، وهلم جرا إلى جميع المفترضات. وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته.

والنظر في هذه الأمور الخارجة عن الحصر يطول، فلتعين مثلاً واحداً، هو الاحتراق في القطن مثلاً عند ملاقاة النار، فإنما نجوز وقوع الملاقاة بينهما دون الاحتراق، ويجوز حدوث انقلاب القطن رماداً محترقاً دون ملاقاة النار وهم ينكرون جوازه.

وللكلام في هذه المسألة ثلاثة مقامات:

المقام الأول: أن يدعى الخصم أن فاعل الاحتراق هو النار فقط، وهو فاعل بالطبع لا بالاختيار، فلا يمكنه الكف عما هو في طبعه، بعد ملاقاته محل قابل له.

وهذا مما ننكره، بل نقول: فاعل الاحتراق - بخلق السواد في القطن والتفرق في أجزائه، وجعله رماداً، هو الله تعالى، إما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، فأما النار وهي جمد لا فعل لها، فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عندها، ولا تدل على الحصول بها، وأنه لا علة له سواها.. الخ».

الغزالى يقرر أنه لا فاعل على الحقيقة إلا الله، ولا يجوز نسبة اليقين إلا إليه، فهو اليقين الذي ما بعده يقين، **ولهذا لا يجوز نسبة التأثير إلا إليه سبحانه وتعالى فهو الفاعل على الحقيقة.**

فالقدر الذي يتيقنه العقل هو هذا الاقتران بين النار والإحرار، أما أن النار مؤثرة فلا يقين.

بهذا لأنه لا سبيل إلى الجزم به، إضافة إلى ما تقرر في النصوص الشرعية أن الله خالق كل شيء، بل تخلف النار عن الإحرار كما في قصة سيدنا إبراهيم دلالة على أنه ليس بين النار والاحتراق أكثر من هذا الاقتران.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويقول الغزالى : « الله يجوز أن يخلق ما يسمى علة بدون أن يخلق ما يسمى معلولاً»^(١).

وفي فتح الباري للحافظ ابن حجر في كتاب النكاح ، باب العزل ، ٣٠٧/٩ : «وقد أخرج أحمد والبزار وصححه ابن حبان من حديث أنس : «أن رجلا سأله عن العزل ، فقال النبي ﷺ : لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا) قوله شاهدان في الكبير للطبراني عن ابن عباس وفي الأوسط عن ابن مسعود وسيأتي مزيد لذلك في كتاب القدر إن شاء الله تعالى » اهـ من فتح الباري . والحديث روأه أحمد في المسند (١٤٠/٣) برقم : ١٢٤٤٣) وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد : روأه أحمد والبزار وإسنادهما حسن : (٢٩٦/٤)

ففي هذا الخبر الذي روى البخاري طرفا منه في باب العزل وطرفا في كتاب القدر لدليل واضح على أن الكل متساوٍ أمام قدرة الله . فيحمل مفهوم الحديث على الجواز العقلي ، وإن جرت السنن وفقاً للأسباب ، فقدرة الله لا يحدوها حد.

أما المستهزئون بأهل السنة من الأشاعرة فقد وقعوا في إشراك هذه الأسباب ويرون أن خلق الولد من الصخرة أو الإبصار بالخذل أو الإحراق بالماء لا يتأنى وليس من الحكمة ، فهم في الحقيقة قاتلون بالطبع والخواص التي تحدد الله ما يفعل وما يذر وهذا مذهب الحشووية منذ زمن بعيد ، وقد رد عليهم أئمة السنة قال الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبدالسلام : «.. ولو لا ما وجب على العلماء من إعزاز الدين ، وإخمال المبتدعين ، وما طولت به الحشووية ألسنتهم في هذا الزمان من الطعن في أعراض الموحدين ، والإذراء على كلام المنزهين ، لما أطلت النفس في مثل هذا مع إيضاحه ... وما زال المنزهون والموحدون يفتون بذلك على رؤوس الأشهاد ، في المحافل والمشاهد ،

(١) تهافت الفلاسفة ص ٢٧٨

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ويجهرون به في المدارس والمساجد، وبدعة الحشووية كامنة خفية، لا يتمكنون من المجاهرة بها، بل يدسونها إلى جهله العوام، وقد جهروا بها في هذا الأوان، فنسأل الله تعالى أن يعدل بإخمالها كعادته، ويقضي بإذلالها على ما سبق من سنته، وعلى طريقة المزهين الموحدين درج الخلف والسلف رضي الله عنهم أجمعين.

والعجب أنهم يذمون الأشعري بقوله: «إن الخبز لا يشبع، والماء لا يروي، والنار لا تحرق» وهذا كلام أنزل الله معناه في كتابه، فإن الشبع والري والإحراق، حوادث انفرد الرب بخلقها، فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الإحراق، وإن كانت أسباباً في ذلك، فالخالق هو المسبب دون السبب، كما قال تعالى: «وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى» نفى أن يكون رسوله خالقاً للرمي، وإن كان سبباً فيه، وقد قال تعالى: « وأنه هو أضحك وأبكي، وأنه هو أمات وأحيى » فاقتصر الإضحاك والإبکاء والإماتة والإحياء عن أسبابها، وأضافها إليه، فكذلك اقتصر الأشعري رحمة الله تعالى الشبع والري والإحراق عن أسبابها وأضافها إلى خالقها لقوله تعالى: « خالق كل شيء » وقوله: « هل من خالق غير الله » (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولا يأتهم تأويله) (أكذبتم بما يأتني ولم تحيطوا بها علماً أما إذا كتتم تعملون)

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فسبحان من رضي عن قوم فأدناهم، وسخط عن آخرين فأقصاهم (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ... » اهـ كلام سلطان العلماء⁽¹⁾.

وتأمل قوله تعالى: «أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟ » أجب يا د: سفر؟؟؟

أما ما ذكرته عن هدم نظرية العامل عند النحاة فقول ساقط لا يعتد به بل أريد به

(1) ملحة الاعتقاد ط دار القادر ص ٤٨.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الإساءة إلى كل عالم ينتمي إلى الأشاعرة، فلم توضح لنا من هذا النحو كعادتك؟!
ولكن ما يهمنا قد اتضح وهو: مراد الأشاعرة في عدم إشراكهم الأسباب في التأثير
والخلق.

[الحكمة الغائبة]

ثم يقول الدكتور سفر:

«الثامن: الحكمة الغائبة:

ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي بإيجاد الفعل أو عدمه، وهذا نص كلامهم تقريباً، وهو رد فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله، حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا إن كونه يفعل شيئاً لعلاة ينافي كونه مختاراً مريداً، وهذا الأصل تسميه بعض كتبهم «نفي الغرض عن الله» ويعتبرونه من لوازم التنزية، وجعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة ولا تعلق لصفة أخرى – كالحكمة مثلاً – بها، ورتبوا على هذا أصولاً فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه ويخلد في الجنة أفجر الكفار، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها.

وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم ألا تعارض بين المشيئة والحكمة أو المشيئة والرحمة، ولهذا لم يثبت الأشاعرة الحكمة مع الصفات السبع واكتفوا بإثبات الإرادة مع أن الحكمة تقضي بالإرادة والعلم وزيادة حتى أن من المعاصرين من أضافها مثل سعيد حوى».

التعليق:

ونقول: إن الأشاعرة لم ينفوا اشتعمال أفعال الله تعالى على الحكمة، بل نفوا أن يكون ذلك واجباً على الله تعالى، لأن القاعدة أنه لا يجب على الله تعالى شيء، خلافاً للمعتزلة الذين يوجبون على الله تعالى فعل الأصلح للعباد، فالدكتور أخطأ خطأ بيناً في حكاية المذهب، ولم يوثق كلامه من أي مصدر من كتب الأشاعرة، ونحن ننقل من كتب الأشاعرة ما يفيد قولهم باشتعمال أفعاله تعالى على

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الحكمة، مع كون ذلك لا من طريق الوجوب عليه تعالى بل من طريق التفضيل والمن على عباده سبحانه.

قال الإمام الأمدي في أبكار الأفكار (١٥١/٢) : المسألة الثالثة في أنه لا يجب رعاية الغرض والمقصود في أفعال الله تعالى ، وأنه لا يجب عليه شيء أصلًا: مذهب أهل الحق أن رعاية الحكمة والغرض في أفعال الله تعالى غير واجب ، وأنه لا يجب عليه فعل شيء ولا تركه.

فهل ترى أن الله يحكمه قانون؟ أو يجب عليه شيء سوى ما أوجبه على نفسه يا سفر؟

وقال في ص ١٥٧ ، بعدما رد شبهات المعتزلة ، مبيناً أن الأشاعرة قائلون باشتغال أفعال الله تعالى على الحكمة : والجواب أنا لا ننكر كون الله تعالى حكيمًا في فعله ، ولكن ذلك يتحقق فيما يتلقنه في صنعه ، وتحققه على وفق علمه به وإرادته ، ولا يتوقف ذلك على أن يكون له في فعله غرض وغاية ، والعبث إنما يلزم في فعله بانتفاء الغرض فيه أن لو كان فعله مما يطلب فيه الغرض ، وهو محل النزاع ، وتقييح صدور ما لا غرض فيه من الباري تعالى فمبني على فاسد أصولهم بالتحسين والتقييح الذاتي ، وقياس الغائب على الشاهد وقد أبطلناه فيما تقدم أهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ، عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَا إِلَّا لِيَعْبُدُونَ ﴾ ما خلقت أهل السعادة منْ أهل الفُرِيقَيْنِ إِلَّا لِيُوَحِّدُونَ ، هُوَ قَوْلُ الْفَرَّاءِ ، وَنَصَرَهُ إِبْنُ قُتْيَةَ فِي «مُشْكِلُ الْقُرْآنِ». وَسَبَبُ الْحَمْلِ عَلَى التَّخْصِيصِ وُجُودُ مَنْ لَا يَعْبُدُهُ ، فَلَوْ حُمِّلَ عَلَى ظَاهِرِهِ لَوَقَعَ التَّنَافِي بَيْنَ الْعِلْمَةِ وَالْمَعْلُولِ . قَوْلُهُ : ﴿ وَقَالَ بَعْضُهُمْ خَلَقْتَهُمْ لِيَفْعُلُوا فَفَعَلُوا بَعْضٌ وَتَرَكَ بَعْضٌ ، وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْقَدَرِ ﴾ هُوَ كَلَامُ الْفَرَّاءِ أَيْضًا ثم قال : وأمّا قوله ﴿ وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْقَدَرِ ﴾ فَيُرِيدُ الْمُعْتَذِلَةَ ، لِأَنَّ مُحَصَّلَ الْجَوَابِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْخَلْقِ خَلْقُ التَّكْلِيفِ لَا خَلْقُ الْجِبَلَةِ ،

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

فَمَنْ وَفَقَهُ عَمِيلٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَمَنْ حَذَّلَهُ خَالِفٌ، وَالْمُعْتَزِلَةُ إِحْتَجَّوْا بِالْأَيَّةِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى أَنَّ إِرَادَةَ اللَّهِ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِ، وَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الشَّيْءِ مُعَلَّا بِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مُرَادًا وَأَنْ لَا يَكُونَ غَيْرُهُ مُرَادًا، وَيُحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ بِقَوْلِهِ «وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْقَدْرِ» أَنَّهُمْ يَحْتَجُونَ بِهَا عَلَى أَنَّ أَفْعَالَ اللَّهِ لَا بُدٌّ وَأَنْ تَكُونَ مَعْلُوَةً قَالَ: لَا يَلْزَمُ مِنْ وَقْعَةِ التَّعْلِيلِ فِي مَوْضِعِ وُجُوبِ التَّعْلِيلِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ، وَنَحْنُ نَقُولُ بِجَوَازِ التَّعْلِيلِ لِمَا يُوجُوبُهُ، أَوْ إِلَيْهِمْ إِحْتَجَّوْا بِهَا عَلَى أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لَهُمْ لِإِسْنَادِ الْعِبَادَةِ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: لَا حُجَّةٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْنَادَ مِنْ جِهَةِ الْكَسْبِ ا.هـ (فتح الباري ٤٦١/٨)

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» (الشورى: من الآية ٢٧) :

الثانية - قال علماؤنا: أفعال رب سبحانه لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله الاستصلاح، فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا، مصلحة له. فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعته فضيلة، وقد أعطى أقواماً مع علمه أنهم يستعملونه في الفساد، ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا أقرب إلى الصلاح. والأمر على الجملة مفوض إلى مشيئته، ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من أفعال الله تعالى ا.هـ من تفسير القرطبي - (٢٨ / ١٦)

وقال الإمام الغزالى في الاقتصاد في الاعتقاد: القطب الثالث في أفعال الله تعالى وجملة أفعاله جائزة لا يوصف شيء منها بالوجوب ا.هـ

هذا بالنسبة لمسألة الحكمة، وخلاصتها أن الأشاعرة يثبتون لله تعالى الحكمة في أفعاله من طريق التفضل، لا من طريق الوجوب عليه تعالى، فهل يخالفنا الدكتور سفر في قولنا: لا يجب على الله شيء؟

أما قوله: (حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن وقالوا إن كونه يفعل شيئاً لعلة ينافي كونه مختاراً مريداً) غير صحيح بالمرة لأن الأشاعرة لم ينفوا كل لام تعليل في القرآن الكريم وإنما سموها لام العاقبة إما تأدباً مع الله تبارك

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وتعالى، وإنما لأنهم لاحظوا أن المقصود هو بيان العاقبة لهذا الفعل لا بيان العلة لأن العلة بمعنى الباعث منافية في حقه تعالى، فانظر مثلاً إلى قوله تعالى ﴿فَالْتَّقْطُهَ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًا وَحْزَنًا﴾، هل كانت العلة الباعثة لآل فرعون أن يتقطعوا موسى عليه السلام لكي يكون لهم عدواً وحزناً، والفعل هنا الالتقاط واللام دخلة على قوله يكون لهم عدواً، أم أن العداوة والحزن كان العاقبة لفعل الالتقاط؟ يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿فَالْتَّقْطُهَ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عُدُوًا وَحْزَنًا﴾ الآية قال محمد بن إسحاق وغيره اللام هنا لام العاقبة لا لام التعيل لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك، ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ولكن إذا نظر إلى معنى السياق فإنه تبقى اللام للتعليق لأن معناه أن الله تعالى قيضهم لالتقاطه ليجعله عدواً له وحزناً فيكون أبلغ في إبطال حذرهم منه أ.هـ، هكذا بكل بساطة فلا تعدو المسألة أن تكون اصطلاحاً خاصاً بهم، ولا مشاحة في الاصطلاحات، وقد سماها الإمام الزركشي في البرهان - وهو أشعري - لام الحكم، وفي هذا أكبر رد على الدكتور سفر في دعوه.

قال الإمام الزركشي في البرهان :

القسم الثامن والعشرون التعليل بأن يذكر الشيء معللاً فإنه أبلغ من ذكره بلا علة لوجهين أحدهما: أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في العلة المنصوصة.

الثاني: أن النقوص تبعت إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها وغالب التعليل في القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة ومنه (إن النفس لأمارة بالسوء) (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) (إن صلاتك سكن لهم) وتوضيح التعليل أن الفاء السببية لو وضعت مكان إن لحسن. والطرق الدالة على العلة أنواع: الأول التصریح بلفظ الحكم كقوله تعالى: (حكمة بالغة) وقال: (وأنزل الله عليك الكتاب

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

والحكمة هي العلم النافع والعمل الصالح.

الثاني : أنه فعل كذا أو أمر بکذا لکذا كقوله تعالى ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مَثْلِهِنَ يَنْزَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا﴾ و ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ لِئَلَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابَ﴾ و ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كَنْتُ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ و ﴿وَيَنْزَلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَا يَطْهِرُكُمْ بِهِ﴾ و ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بَشَرًا لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ ... وهو كثير. **فَإِنْ قِيلَ الَّمْ فِيهِ لِعَاقِبَةٍ** كقوله تعالى ﴿أَلَّا فَرَعُونَ لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوا وَحْزَنًا﴾ و قوله ﴿مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فَتَنَّةٌ﴾.

وإنما قلنا ذلك لأن أفعال الله تعالى لا تعلل فالجواب أن معنى قولنا إن أفعال الله تعالى لا تعلل أي لا تجب ولكنها لا تخلو عن الحكمة. وقد أجاب الملائكة عن قولهم : (أتجعل فيها من يفسد فيها) بقوله : (إنني أعلم ما لا تعلمون) ولو كان فعله سبحانه مبرراً عن الحكم والغايات لم يسأل الملائكة عن حكمته ولم يصح الجواب بكونه يعلم ما لا يعلمون من الحكمة والمصالح وفرق بين العلم والحكمة ، ولأن لام العاقبة إنما تكون في حق من يجهل العاقبة كقوله : ﴿أَلَّا فَرَعُونَ لِيَكُونُ لَهُمْ عَدُوا وَحْزَنًا﴾ وأما من هو بكل شيء عليم فمستحيلة في حقه وإنما **اللام الواردة في أحكامه وأفعاله لام الحكم والغاية المطلوبة من الحكمة** ثم قوله : (ليكون لهم عدوا وحزنا) فلا هو تعليل لقضاء الله بالتقاطه وتقديره لهم فإن التقاطهم لهم إنما كان بقضائه وقدره وذكر فعلهم دون قضائه لأنه أبلغ في كونه حزنا لهم وحسرة عليهم [البرهان - الزركشي ج ٣ ص ٩١]

أما قوله : ﴿وَرَتَبُوا عَلَى هَذَا أَصْوَلًا فَاسْدَةً كَوْلُهُمْ بِجُوازِ أَنْ يَخْلُدَ اللَّهُ فِي النَّارِ أَخْلَصَ أُولَئِئِهِ وَيَخْلُدَ فِي الْجَنَّةِ أَفْجَرَ الْكُفَّارِ، وَجُوازَ التَّكْلِيفِ بِمَا لَا يَطْقَنُ وَنَحْوُهَا﴾.

فليس الأشاعرة من قال ذلك أو اخترعه ، وإنما هم متابعون لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، أما القرآن الكريم فقوله تعالى ﴿يَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

(المائدة: من الآية ٤٠)، ولم يقل يعذب الكافر ويغفر للطائع، وما في القرآن مما ورد في إثابة الطائعين والمؤمنين لا يفيد القصر عليهم ولا يفيد أن ذلك واجب على الله تعالى بل هو محض فضل ونعمة منه سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره^(١):

وقوله تعالى ﴿يُعذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي هو الحاكم المتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فله الخلق والأمر مهما فعل فعدل لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن «إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم» ولهذا قال تعالى: ﴿يُعذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تَقْبِلُونَ﴾ أي ترجعون يوم القيمة وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أي لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغني بما سواه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٌ﴾ والذين كفروا بآيات الله ولقاءه ﴿أَيُّ جَحْدُوا بِالْمَعْدَدِ﴾ أولئك يئسوا من رحمتي ﴿أَيُّ لَا نَصِيبٌ لَهُمْ فِيهَا﴾ وأولئك لهم عذاب أليم ﴿أَيُّ مَوْجَعٌ شَدِيدٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ا.هـ من تفسير ابن كثير.

وأما السنة:

فما رواه أحمد في مسنده عن ابن الديلمي قال لقيت أبي بن كعب فقلت يا أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فحدثني بشيء لعله يذهب من قلبي، قال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً من أعمالهم، وما رواه الشیخان عن أبي هريرة رض: قال قال

(١) تفسير ابن كثير (٤١٩/٣).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

رسول الله ﷺ: «لَنْ يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلَهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدْنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارَبُوا وَأَغْدُوا وَرَوَحُوا وَشَيْءٌ مِنَ الدِّرْجَةِ وَالْقَصْدِ تَبَلَّغُوهُ» قال الحافظ في الفتح (٢٥٤/١١): وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: ذَهَبَ أَهْلُ السُّنَّةِ إِلَى أَنَّ إِثَابَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَطَاعَهُ يُفَضِّلُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ اتِّقَامَهُ مِمَّنْ عَصَاهُ يَعْدُلُ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا إِلَّا بِالسَّمْعِ، وَلَهُ سُبْحَانُهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعَذِّبَ الطَّائِعَ وَيَنْعِمَ الْعَاصِيَ، وَكَيْنَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَفْعُلُ ذَلِكَ وَخَبَرَهُ صِدْقٌ لَا خَلْفَ فِيهِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ يُقوِيُّ مَقَالَتَهُمْ وَيَرِدُ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ حِيثُ أَبْتُوا يَعْقُولُهُمْ أَعْوَاضُ الْأَعْمَالِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ خَبْطٌ كَثِيرٌ وَنَفْصِيلٌ طَوِيلٌ. ا.هـ من الفتح، وقال أيضاً في قوله ﷺ (وجبت له الجنة): قوله قال هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة فيه بيان لأن المراد بقوله وجبت أي الجنة لمني الخير والنار لمني الشر والمراد بالوجوب الثبوت إذ هو في صحة الواقع كالشيء الواجب والأصل أنه لا يجب على الله شيء بل الثواب فضله والعقاب عدله لا يسأل عما يفعل [فتح الباري ابن حجر ٣ / ١٨١]

وقال الحافظ المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٦ ص ٣٦: (من أثكل) أي فقد (ثلاثة من صلبه) بضم أوله المهملة (في سبيل الله فاحتسبهم على الله وجبت له الجنة) **تفضلاً منه بإنجاز وعده ولا يجب على الله شيء ا.هـ**

وقال القرطبي في تفسيره - ج ٦ ص ١٣٥ في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَتَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ :

قال ابن عطية: المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة، فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المتقى الشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة، **علم ذلك بإخبار الله تعالى لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلًا ا.هـ.**

فها هي أدلة الكتاب والسنة وأقوال العلماء شاهدة بما استذكره الدكتور سفر

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

وانتقاده على الأشاعرة، فهل يقول الدكتور سفر: إن الله محتم عليه وواجب عليه عقلًا أن يثيب الطائع ويعذب العاصي، موافقاً بذلك المعتزلة؟

مسألة تكليف ما لا يطاق:

يسوق الدكتور سفر هذه المسألة كعادته في تصوير مذهب الأشاعرة بطريق خاطئة ودون توثيق، فالأشاعرة لم يقولوا إن الله تعالى يكلف العباد بما لا يطاق، بل قالوا إن تكليف ما لا يطاق جائز عقلًا غير واقع من جهة الشرع والسمع، فالأصول الفاسدة التي يشير إليها الدكتور سفر هي قولنا: لا يجب على الله شيء، ومذهب الأشاعرة دل عليه الكتاب والسنة وأقوال العلماء، قال الله تعالى ﴿وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال ابن الجوزي في - زاد المسير - ج ١ ص ٢٩٦ : فلو كان تكليف ما لا يطاق متنعاً كان السؤال عبثاً وقد أمر الله تعالى نبيه بدعاء قوم قال فيهم ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذَا أَبْدَأُوكَهْفًا﴾ الكهف ١٥.

وقال القرطبي : - تفسير القرطبي - القرطبي ج ٣ ص ٤٣٠ :

الخامسة - اختلف الناس في جواز تكليف ما لا يطاق في الأحكام التي هي في الدنيا، بعد اتفاقهم على أنه ليس واقعاً في الشرع، وأن هذه الآية أذنت بعده، قال أبو الحسن الأشعري وجماعة من المتكلمين: تكليف ما لا يطاق جائز عقلًا، ولا يخرب ذلك شيئاً من عقائد الشرع، ويكون ذلك أمارة على تعذيب المكلف وقطعوا به، وينظر إلى هذا تكليف المصوّر أن يعقد شعيرة. واحتلّ القائلون بجوازه هل وقع في رسالة محمد ﷺ أولاً؟ فقالت فرقـة: وقع في نازلة أبي لهب، لأنـه كلفه بالإيمان بجملة الشريعة، ومن جملتها أنه لا يؤمن، لأنـه حكم عليه بتـبـ اليـدين وصـلـيـ النـارـ،

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

وذلك مؤذن بأنه لا يؤمن، فقد كلفه بأن يؤمن بأنه لا يؤمن. وقالت فرقه: لم يقع قط. وقد حكى الإجماع على ذلك. وقوله تعالى: ﴿سِيَصْلِي نَارًا﴾ معناه إن وافي، حكاه ابن عطية. «ويكلف» يتعدى إلى مفعولين أحدهما مذوف، تقديره عبادة أو شيئاً. فالله سبحانه بلطفه وإنعامه علينا وإن كان قد كلفنا بما يشق ويُشق كثبوت الواحد للعشرة، وهجرة الإنسان وخروجه من وطنه ومفارقة أهله ووطنه وعادته، لكنه لم يكلفنا بالمشقات المثقلة ولا بالأمور المؤلمة، كما كلف من قبلنا بقتل أنفسهم وفرض موضع البول من ثيابهم وجلودهم، بل سهل ورفق ووضع عنا الإصر والأغلال التي وضعها على من كان قبلنا. فللهم الحمد والمنة.¹

وقال الغزالى في المستصفى (٧٢/١): ومن جوز تكليف ما لا يطاق عقلاً فإنه يمنعه شرعاً.¹

ولأن الأشاعرة يجوزون ذلك من جهة العقل فقط لا من جهة الشرع فقد ردوا ومنعوا كل أمر أو حكم يترتب عليه تكليف شيء لا يطاق، قال الرازى في الحصول في مسألة الواجب الموسوع والمضيق (١٧٣/٢) : الثانية الفعل بالنسبة إلى الوقت يكون على أحد وجوه ثلاثة الأول أن يكون الفعل فاضلاً عن الوقت **والتكليف بذلك لا يجوز إلا إذا جوزنا تكليف ما لا يطاق** أو يكون المقصود إيجاب القضاء كما إذا ظهرت الحائض أو بلغ الغلام وبقي من وقت الصلاة مقدار ركعة أو أقل.¹

وقال أيضاً في الحصول^(١):

العاشرة الاستدلال بعدم ما يدل على الحكم على عدم الحكم طريقة عول عليها بعض الفقهاء وتحريره أن الحكم الشرعي لا بد له من دليل والدليل إما نص أو إجماع أو قياس، ولم يوجد واحد من هذه الثلاثة **فوجب أن لا يثبت الحكم إنما قلنا إن**

(١) الحصول (٦/١٦٨).

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

الحكم الشرعي لابد له من دليل لأن الله تعالى لو أمرنا بشيء ولا يضع عليه دليلاً لأن ذلك تكليف ما لا يطاق وإنه غير جائز أهـ

ويستطيع أي باحث أن يستخرج بسهولة من كتب الأشاعرة كثيراً من الأحكام التي ردوها لأن الأمر المترتب عليها لا يطاق عادة من المكلف، فهل يجوز أن يقول الدكتور سفر إنهم جوزوا هكذا دون أن يفصل بين الجواز العقلي الذي قال به الأشاعرة والجواز الشرعي الذي منعه الأشاعرة؟

【 الكلام على التحسين والتقبیح العقلین 】

ثم يقول الدكتور سفر:

«العاشر: التحسين والتقبیح:

ينكر الأشاعرة أن يكون للعقل والفطرة أي دور في الحكم على الأشياء بالحسن والقبح ويقولون مرد ذلك إلى الشرع وحده، وهذا رد فعل مغال لقول البراهمة والمعزلة أن العقل يوجب حسن الحسن وقبح القبيح، وهو مع منافاته للنصوص مكابرة للعقل، وما يتربى عليه من الأصول الفاسدة قولهم إن الشرع قد يأتي بما هو قبيح في العقل فإلغاء دور العقل بالمرة أسلم من نسبة القبح إلى الشرع مثلاً، ومثلوا لذلك بذبح الحيوان فإنه إيلام له بلا ذنب وهو قبيح في العقل ومع ذلك أباحه الشرع، وهذا في الحقيقة قول البراهمة الذين يحرمون أكل الحيوان، فلما عجز هؤلاء عن رد شبهتهم ووافقوهم عليها أنكروا حكم العقل من أصله وتوهموا أنهم بهذا يدافعون عن الإسلام، كما أن من أسباب ذلك مناقضة أصل من قال بوجوب الثواب والعقاب على الله بحكم العقل ومقتضاه^(١)».

التعليق:

يقول الدكتور العالمة محمد أبو النور زهير^(٢): لا خلاف بين الأشاعرة والمعزلة في أن الحاكم بمعنى منشئ الحكم هو الله تعالى، وإنما الخلاف بينهم في معرف الحكم ومظاهره، فالأشاعرة يقولون إن معرف الحكم هو الشرع فلا طريق لمعرفته بدونه والمعزلة يقولون إن العقل هو المعرف له والشرع مقرر لما أدركه العقل. فهل أنت موافق للمعزلة يا د: سفر؟؟؟

(١) المصادر السابقة.

(٢) أصول الفقه- الدكتور محمد أبو النور زهير: ١٢٥/١ - ١٢٦ .

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

منشأ الخلاف

وهذا الخلاف بينهم مبني على خلاف آخر حاصله هل العقل يدرك في الأفعال حسناً وقبحاً أو لا يدرك شيئاً من ذلك.

قالت الأشاعرة العقل لا يدرك في الأفعال حسناً أو قبحاً، بل الحسن ما حسن الشرع والقبح ما قبحه – وقالت المعتزلة: إن الفعل قد استعمل على صفات توجب حسنها وقبحها، وبمقتضى تلك الصفات التي استعمل عليها الفعل يدرك العقل حسن الفعل أو قبحه.

فإذا أدرك العقل في الفعل حسناً، كان واجباً أو مندوباً، وإن أدرك في الفعل قبحاً كان الفعل محراً أو مكرروحاً وإن لم يدرك العقل في الفعل حسناً ولا قبحاً كان الفعل مباحاً، فالمعتزلة يثبتون في الأفعال أحكاماً بناء على ما أدركه العقل فيها من الحسن والقبح ولذلك يقولون إن العقل يدرك تلك ويعرفها قبل أن يرد الشرع بها.

والأشاعرة لا يثبتون في الأفعال أحكاماً قبل ورود الشرع بها لأنهم لا يثبتون فيها حسناً أو قبحاً ولذلك يقولون لا طريق لمعرفة الأحكام إلا الشرع.

تحرير محل النزاع في الحسن والقبح

يطلق الحسن والقبح بـ 3 إطلاقات ثلاثة:

١- الحسن يعني ملاءمة الطبع، والقبح يعني عدم ملاءمته، كقولنا إنقاذ الغريق حسن وأخذ الأموال ظلماً قبيحاً.

٢- الحسن يعني صفة الكمال فتوجب المدح والثناء عاجلاً والقبح يعني صفة الذم واللوم عاجلاً، كقولنا الصدق حسن والكذب قبيح، وقولنا العلم حسن، والجهل قبيح.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

٣- الحسن بمعنى ترتيب المدح على الفعل عاجلاً والثواب عليه آجلاً، والقبح بمعنى ترتيب الذم عليه عاجلاً والعقاب آجلاً.

والعقل يدرك في الأفعال حسناً وقبحاً اتفاقاً بالمعنيين السابقين، وأما الحسن والقبح بالمعنى الثالث فهو محل نزاع بين الأشاعرة والمعتزلة : فالمعتزلة يثبتونه في الأفعال عقلاً والأشاعرة يقولون إن العقل لا يدرك حسناً ولا قبحاً في الفعل بهذا المعنى .أ.هـ.

قلت: فأعترض الدكتور سفر إنما هو خروج عن محل النزاع، لأن الكلام في الثواب والعقاب، والأشاعرة قد تمكوا بالحكم ألا وهو قوله تعالى(وما كنا مذنبين حتى نبعث رسولا).

[التأويل]

ثم يقول الدكتور سفر:

الحادي عشر: التأويل:

و معناه المبتدع صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى احتمال مرجوح لقرينة فهو بهذا المعنى تحريف للكلام عن مواضعه كما قرر ذلك شيخ الإسلام.

وهو أصل منهجي من أصول الأشاعرة وليس هو خاصاً ببحث الصفات، بل يشمل أكثر نصوص الإيمان خاصة ما يتعلق بإثبات زيادته ونقصانه وتسمية بعض شعبه إيماناً ونحوها، وكذا بعض نصوص الوعد والوعيد وقصص الأنبياء خصوصاً موضوع العصمة، وبعض الأوامر التكليفية أيضاً.

و ضرورته لمنهج عقيدتهم أصلها أنه لما تعارضت عندهم الأصول العقلية التي قرروها بعيداً عن الشرع مع النصوص الشرعية وقعوا في مأزق رد الكل، أو أخذ الكل فوجدوا في التأويل مهرباً عقلياً من التعارض الذي اخترقته أوهامهم، ولهذا قالوا إننا مضطرون للتأويل وإلا أوقعنا القرآن في التناقض، وإن الخلف لم يؤولوا عن هوى ومكابرة وإنما عن حاجة واضطرار، فأي تناقض في كتاب الله يا مسلمون نضطر معه إلى رد بعضه أو الاعتراف للأعداء بتناقضه؟

وإن تعجب فاعجب لهذه اللفظة النافية التي يستعملها الأشاعرة مع النصوص وهي أنها «توبهم» التشبيه ولهذا وجب تأويلها، فهل في كتاب الله إيهام أم أن العقول الكاسدة تتوبهم والعقيدة ليست مجال توبهم.

التعليق:

إن من المتفق عليه عند علماء الأصول أن المعنى ينصرف عن ظاهره إذا وجدت

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

قرينة.

فماذا تقول في حديث : « الحجر الأسود يين الله في أرضه » ؟
وماذا تقول في الحديث القدسي : « استطعتمتك فلم تطعموني ... »
وماذا تقول في الحديث القدسي : « مرضت فلم تزرني... » وغيرها كثير.
فإن لم تلجأ إلى التأويل لوقعت في ورطة كبيرة.

وأسوق إليك فيما يلي أمثلة من اعتماد أئمة السلف على التأويل :

المثال الأول: تأويل ابن عباس رضي الله عنهم:

أول ابن عباس قوله تعالى: ﴿يُوْمَ يَكْشِفُ عَنِ سَاقٍ﴾ سورة القلم (٤٢)، فقال :
﴿يَكْشِفُ عَنْ شَدَّةٍ﴾ فأول الساق بالشدة^(١).

المثال الثاني: تأويل ابن عباس رضي الله عنهم:

وأول ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات (٤٧)،
قال : «بقوة»^(٢).

المثال الثالث: تأويل ابن عباس رضي الله عنهم:

وأول أيضا ابن عباس النسيان الوارد في قوله تعالى: ﴿فَالِّيَوْمِ نَسَاهُمْ كَمَا نَسَوا لِقَاءَ
يَوْمِهِمْ هُذَا﴾ الأعراف (٥١) بالترك ، كما في تفسير الطبرى حيث قال ابن جرير: «أي

(١) ذكر ذلك عنه بسند صحيح كل من: ابن حجر في فتح الباري ١٣ / ٤٢٨ ، والحافظ ابن جرير الطبرى في تفسيره ٢٩ / ٣٨ حيث قال في صدر كلامه على هذه الآية: " قال جماعة من الصحابة والتبعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد".

(٢) كما في تفسير ابن جرير الطبرى (٧/٢٧). كما نقل الحافظ ابن جرير في تفسيره (٧ / ٢٧) تأويل لفظة (أيد) الواردة في قوله تعالى: (والسماء بنيناها بأيد وإننا لموسعون) بالقوة أيضا عن جماعة من أئمة السلف منهم: مجاهد وقتادة ومنصور وابن زيد وسفيان.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

ففي هذا اليوم ، وذلك يوم القيمة ننساهم ، يقول نتركهم في العذاب... » اهـ. فقد أول ابن جرير النسيان بالترك ، وهو صرف لهذا اللفظ عن ظاهره لمعنى مجازي ، ونقل الحافظ ابن جرير هذا التأويل الصارف عن الظاهر ورواه بأسانيده عن ابن عباس ومجاحد وغيرهم^(١).

المثال الرابع: تأويل الإمام أحمد رض:

روى الحافظ البيهقي في كتابه «مناقب الإمام أحمد» وهو كتاب مخطوط ومنه نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية فقال: «روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: (وَجَاءَ رَبَّكَ) أَنَّهُ: جَاءَ شَوَّابَهُ. ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غَيْرَ عَلَيْهِ». انتهى كلام ابن كثير من غير انتقاد على الرواية^(٢).

المثال الخامس: تأويل الإمام أحمد رض:

قال الحافظ ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية: «ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ أَنَّهُ أَجَابَ الْجَهْمِيَّةَ حِينَ احْتَجُوا عَلَيْهِ بِقُولِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذَكْرٍ مِّنْ رَبِّهِمْ مَحْدُثٌ إِلَّا اسْتَمْعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ قَالَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَنْزِيلَهُ إِلَيْنَا هُوَ الْمَحْدُثُ، لَا ذَكْرٌ لِنَفْسِهِ هُوَ الْمَحْدُثُ. وَعَنْ حَنْبَلٍ عَنْ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَكْرُ آخَرَ غَيْرَ الْقُرْآنِ» اهـ^(٣).

المثال السادس: تأويل الإمام أحمد رض:

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: قال أبو الحسن عبد الملك الميموني : قال رجل لأبي عبد الله - أي : أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ - : ذَهَبَتِي إِلَى خَلْفِ الْبَزَارِ أَعْظَهُ ، بَلْغَنِي

(١) تفسير الطبرى (٢٠١ / ٨)

(٢) البداية والنهاية (٣٢٧ / ١٠)

(٣) البداية والنهاية (٣٢٧ / ١٠)

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

أنه حدث بحديث عن الأحوص عن عبد الله - بن مسعود - قال : «ما خلق الله شيئاً أعظم...» وذكر الحديث ، فقال أبو عبد الله : ما كان ينبغي أن يحدث بهذا في هذه الأيام - يريد زمن المحنـة - .

قال الذهبي : « والمتـن : ﴿مَا خلـق اللـه مـن سـماء وـلـأرـض أـعـظـم مـن آـيـة الـكـرـسي﴾ ، وقد قال أـحمد بن حـنـبل لما أـورـدوا عـلـيـه هـذـا يـوـم المـحـنـة : إـن الـخـلـق وـاقـع هـنـا عـلـى السـمـاء وـالـأـرـض وـهـذـه الـأـشـيـاء ، لـا عـلـى الـقـرـآن﴾^(١). ثم عـلـق الـذـهـبـي بـتـعـلـيق جـيد يـنـبـغـي أن يـقـرأـ.

كان الإمام أـحمد يقول في عـقـيـدـتـه : « وـالـلـه تـعـالـى لـم يـلـحـقـه تـغـيـر وـلـا تـبـدـل ، وـلـا يـلـحـقـه الـحـدـود قـبـل خـلـقـالـعـرـش وـلـا بـعـد خـلـقـالـعـرـش﴾^(٢). وقد أنـكـر الإمام أـحمد عـلـى من يـقـول باـجـسـمـ ، وـقـال إـن الـأـسـمـاء مـأـخـوذـة بـالـشـرـいـعـة وـالـلـغـة ، وـأـهـلـالـلـغـة وـضـعـوا هـذـا الـاسـم عـلـى كـل ذـي طـول وـعـرـض وـسـمـك وـتـرـكـيـب وـصـورـة وـتـأـلـيف وـالـلـه تـعـالـى خـارـج عـن ذـلـك كـلـه فـلـم يـجـزـ أـن يـسـمـي جـسـمـا خـرـوجـه عـن مـعـنـى الـجـسـمـيـة ، وـلـم يـجـئـ فـي الشـرـىـعـة ذـلـك فـبـطـل﴾^(٣).

المثال السابع: تأويل الإمام النضر بن شميل رضي الله عنه:

وـهـوـ الـإـمـام الـحـافـظ الـلـغـوي مـن رـجـالـالـسـتـة وـلـد سـنـة (١٢٢هـ) : ذـكـر الـحـافـظ الـبـيـهـقـي فـي «الأـسـمـاء وـالـصـفـاتـ» أـن النـضـر بـن شـمـيـل الـحـافـظ الـسـلـفـي قـالـ : إـن مـعـنـى حـدـيـثـ : «ـحـتـى يـضـعـ الـجـبـارـ فـيـهـ قـدـمـهـ» أـيـ : مـن سـبـقـ فـيـ عـلـمـهـ أـنـه مـن أـهـلـالـنـارـ﴾^(٤).

المثال الثامن: تأويل الإمام هشام بن عبيد الله :

(١) سـيـرـ أـعـلـامـ الـنـبـلـاء (٥٧٨ / ١٠)

(٢) طـبـقـاتـ الـخـابـلـة لـابـنـ أـبـيـ يـعـلـىـ ٢٩٧ / ٢

(٣) طـبـقـاتـ الـخـابـلـة لـابـنـ أـبـيـ يـعـلـىـ ٢٩٨ / ٢

(٤) الـأـسـمـاءـ وـالـصـفـاتـ صـ (٤٤٤)

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

تأويل الإمام هشام بن عبيد الله المتوفى سنة (٢٢١هـ) : قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٦ / ١٠ : « الرازي السني الفقيه، أحد أئمة السنة ». ثم قال الذهبي : « قال محمد بن خلف الخراز : سمعت هشاما بن عبيد الله الرازي يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقال له رجل : أليس الله يقول : «ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث»؟ فقال : محدث إلينا ، وليس عند الله بمحدث .

قلت : لأنَّه من عِلْمِ الله ، وعِلْمُ الله لا يوصَفُ بالحدوث » انتهى كلام الحافظ الذهبي .

المثال التاسع: تأويل الإمام سفيان الثوري رضي الله عنه:

تأويل الإمام سفيان الثوري رحمه الله تعالى : ذكر الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة سيد الحفاظ في زمانه الإمام الثوري أنَّ معداناً سأله الإمام الثوري عن قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كَتَمْ﴾ فقال : علمه . وسئل سفيان عن أحاديث الصفات فقال : «أمروها كما جاءت»^(١) .

المثال العاشر: تأويل الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه:

روى الإمام البخاري : « حدثنا محمد أنا عبد الله أنا محمد بن بشار عن قتادة عن صفوان بن حمز عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بينما أنا أمشي معه إذ جاء رجل فقال : يا ابن عمر ، كيف سمعت رسول الله ﷺ يذكر في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : يدُونَ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضْعَفَ عَلَيْهِ كَنْفُهُ [ثم قال البخاري] قال ابن المبارك : كنهه يعني ستره » اهـ باختصار^(٢) .

الإمام عبد الله بن المبارك يقول (الكنف) يعني الستر .

(١) سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٧٤)

(٢) خلق أفعال العباد ص ٦١ ونقله الحافظ أيضاً في فتح الباري ٤٧٧ / ١٣

المثال الحادي عشر: تأويل الإمام الترمذى رضي الله عنه:

قال الإمام الترمذى في حديث: ﴿... لو أنكم دلتم بحبل إلى الأرض السفلی لهبط على الله، ثم قرأ ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء علیم﴾ [قال الإمام الترمذى] : هذا حديث غريب من هذا الوجه.. وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: «إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه » اهـ^(١).

فوالله يا د: سفر لن تجد مخرجاً في بعض الآيات إلا بالتأويل، وإنما فاسمح لنا قوله تعالى: ﴿إن الذين يبایعونك إنما يبایعون الله يد الله فوق أيديهم﴾ والمعلوم أن يد رسول الله ﷺ كانت فوق أيديهم وليس بيده الله.

المثال الثاني عشر: تأويل الإمامين سفيان بن عيينة والترمذى رضي الله عنهم:

لما روی الإمام الترمذى حديث إتیان البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان قال :

«هذا حديث حسن غريب، ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كما فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن، وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ: وأهله الذين يعملون به في الدنيا، ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل وأخبرني محمد بن إسماعيل أخينا الحميدي قال: قال سفيان بن عيينة في تفسير حديث عبد الله بن مسعود: ما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي، قال سفيان: لأن آية الكرسي هو كلام الله، وكلام الله أعظم من خلق الله من السماء والأرض»^(٢).

(١) تحفة الأحوذى - طبعة قرطبة - المجلد التاسع - صفحة ١٨٧ .

(٢) تحفة الأحوذى ٨ / ١٩٣ .

المثال الثالث عشر: تأويل الإمام الأعمش عليه السلام:

روى الإمام الترمذى فى جامعه الحديث المشهور: «أنا عند ظن عبدي بي... وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» ثم قال بعده: «هذا حديث حسن صحيح، ويروى عن الأعمش فى تفسير هذا الحديث: «من تقرب مني شبرا تقربت منه ذارعا»: يعني بالغفارة والرحمة، وهكذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث قالوا إنما معناه يقول: إذا تقرب إلى العبد بطاعتي وبما أمرت تسارع إليه مغفرتي ورحمتي» اهـ كلام الإمام الترمذى ^(١).

فهذا تأويل من بعض السلف للإتيان والهرولة.

وقال بهذا التأويل من بعدهم جمع من أهل العلم كالطيبى، والعينى، وابن بطال، وابن التين والنوى وغيرهم.

(١) (تحفة الأحوذى ٦٤/١٠).

[الصفات]

ثم يقول الدكتور سفر: الخامس عشر: الصفات

والحديث عنها يطول وتناقضهم وتحكمهم فيها أشهر وأكثر، وكل مذهبهم في الصفات مركب من بدع سابقة وأضافوا إليه بدعاً أحذثوها فأصبحت غاية في التلفيق المتناقض.

ولن أتحدث عن هذا الباب هنا لأنني التزمت ببيان الأصول التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة عدا الصفات، أما مخالفتهم في الصفات فمعروفة وإن كان كثير من أسس نظرياتهم فيها يحتاج لتجلية ونسف، ولعل هذا ما يكون في الرد المتكامل بإذن الله.

التعليق:

قال ابن دقيق العيد في العقيدة: نقول في الصفات المشكلة إنها حق وصدق على المعنى الذي أراده الله، ومن تأولها نظرنا، فإن كان تأويله قريباً على مقتضى لسان العرب لم ننكر عليه، وإن كان بعيداً تووقفنا عنه ورجعنا إلى التصديق مع التنزيه. وما كان منها معناه ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب حملناه عليه؛ لقوله: «على ما فرطت في جنب الله» فإن المراد به في استعمالهم الشائع: (حق الله). فلا يتوقف في حمله عليه. وكذا قوله: (إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) فإن المراد به: إرادة قلب ابن آدم مصربة بقدرة الله وما يوقعه فيه، وكذا قوله تعالى: «فأتأتي الله ببنيانهم من القواعد» معناه: خرب الله ببنيانهم، وقوله: «إنما نطعمكم لوجه الله» معناه: لأجل الله، وقس على ذلك، وهو تفصيل بالغ، قلّ من تيقظ له.

وقال غيره: اتفق المحققون على أن حقيقة الله مخالفة لسائر الحقائق، وذهب بعض أهل الكلام إلى أنها من حيث إنها ذات مساوية لسائر الذوات، وإنما تمتاز عنها بالصفات

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

التي تختص بها كوجوب الوجود والقدرة التامة والعلم التام.
وقال الإمام أحمد رحمة الله عندما سُئل عن أحاديث الصفات: «نؤمن بها ونصدق بها بلا كيف ولا معنى».

وقال الحافظ الترمذى فى سننه (٦٩٢/٤): «والذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك بن أنس وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم رروا هذه الأشياء ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال كيف، وهذا الذى اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت وبيؤمن بها ولا تفسر ولا تتوهم ولا يقال كيف، وهذا أمر أهل العلم الذى اختاروه وذهبوا إليه».

هذا هو مذهب السلف رحمهم الله فهم يفوضون في المعنى ولا يفسرون، فأين هذا المذهب من قول من يفسر وينسب لله تعالى اليد والجارية والاستواء الذي هو جلوس واستقرار ونماسة ونزول هو حركة وانتقال وغير ذلك من ترهات وتوهمات؟!

فلا يجوز لنا أن ننفي معنى ثبت بالنص في حق الله تعالى، فمثلاً: إذا ورد في النقل أن الله سمِيع، وكان ما يفهمه عامة الناس من ظاهر السمع هو اتصال الأمواج الصوتية بطبقة الأدن، فلا يجوز أن نقول بنفي أصل هذه الكلمة بحجة أنه يلزم منها النص، بل نحن ثبَّتْ أصلها أي مطلق أن الله سمِيع، وننفي أن يكون له أدن مثلاً، وننفي أن يكون أصل سمع الله تعالى مثل سمعنا، فالحاصل أننا ثبَّتْ له سمعاً يليق بجلاله وننزعه عن صفات المخلوقين.

هذا في اللفظ الذي ليس له إلا معنى واحد، أما ما يحتمل أكثر من معنى فالواجب عند ذلك هو البحث عن المعنى اللائق بالله تعالى، فنصرف اللفظ عن المعنى الباطل الذي لا يجوز نسبة إليه تعالى ونحمله على المعنى الصحيح، وهذا هو التأويل.

والصواب: الإمساك عن أمثل هذه المباحث، والتغويض إلى الله في جميعها، والإكتفاء بالإيمان بكل ما أوجب الله في كتابه أو على لسان نبيه إثباته له أو تزييه عنه على طريق الإجمال وبالله التوفيق، ولو لم يمكن

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

في ترجيح التفويض على التأويل الا ان صاحب التأويل ليس جازما بتأويله بخلاف صاحب التفويض^(١).

(١) فتح الباري : ٣٨٣/١٣

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

[الفرقة الناجية]

يقول الدكتور سفر:

أيهما الفرقة الناجية؟

قد أوضحنا فيما سبق أن أهل السنة والجماعة والأشاعرة فرقتان مختلفتان، وهذا يستلزم تحديد أيهما الفرقة الناجية؟.

وما أوضح هذا التحديد وأسهله، لكن مكابرة بعض الأشاعرة بادعاء أن الأشاعرة وأهل السنة والجماعة كلاهما ناج يجعلنا نبدأ بإلقاء سؤال عن الفرقة الناجية:

أهي فرقة واحدة أم فرقتان؟

والجواب: مع بدهته لكل ذي عقل —مفروغ منه نصاً، فقد أخبر النبي ﷺ في روایات كثيرة لحديث افتراق هذه الأمة على ثلات وسبعين فرقة: «إنها كلها في النار إلا واحدة».

وما قال ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا تابعيهم أنها اثنان. وعليه جاء تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ يَسِيرٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْتَهُوا عَنِ السَّبِيلِ فَتَفَرَّقُوا بَعْدَ مَا يَرَى﴾ أن الطريق المستقيم هو السنة والسبيل هي الأهواء، وما هو إلا طريق واحد كما خط النبي ﷺ بيده.

وعلى هذا سارت كتب الفرق - السنوي منها والبدعي - فهي تقرر أن الفرقة الناجية واحدة ثم تدعى كل فرقة أنها هي هذه الواحدة...

ثم يقول:

على أن المرء حول الفرقة الناجية ليس جديداً من الأشاعرة فقد عقدوا لشيخ الإسلام ابن تيمية محاكمة كبرى بسبب تأليفه: «العقيدة الواسطية» وكان من أهم

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

التهم الموجهة إليه أنه قال في أولها : « فهذا اعتقاد الفرقة الناجية ».
إذ وجدوا هذا مخالفًا لما تقرر لديهم من أن الفرقة الناجية هي الأشاعرة والماتريدية.
وكان من جواب شيخ الإسلام لهم أنه أحضر أكثر من خمسين كتاباً من كتب
المذاهب الأربع وأهل الحديث والصوفية والمتكلمين كلها توافق ما في الواسطية وبعضها
ينقل إجماع السلف على مضمون تلك العقيدة :

وتحداهم - رحمه الله - قائلًا :

« قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاثة سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد
من القرون الثلاثة .. يخالف ما ذكرت فأنا أرجع عن ذلك ». .

قال : « ولم يستطع المتنازعون مع طول تفتیشهم كتب البلد وخزائنه أن يخرجوا ما
يناقض ذلك عن أحد من أئمة الإسلام وسلفه ». .

فهل يريد الأشاعرة المعاصرون أن نجدد التحدي ونحدد المهلة أم يكفي أن نقول لهم
ناصحين :

إنه لا نجاة لفرقة ولا لأحد في الابداع وإنما النجاة كل النجاة في التمسك والاتباع....

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على الييس

تبين مما تقدم أن الأشاعرة فرقة من الشتين وسبعين فرقه وإن حكم هذه الفرقة الشتين
وسبعين هو :

(١) الضلاله والبدعة.

(٢) الوعيد بالنار وعدم النجاة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

التعليق:

الآن حصحص الحق، فأنت ترى الأشاعرة من أهل الضلاله والبدعة والوعيد بالنار وعدم النجاة.

مع أنك لا تعلم ولم تسمع من أشياخك كائناً من كانوا بأن هذا الحديث الذي تعتمد عليه حول افتراق الأمة والفرقة الناجية الوحيدة حديث متكلم فيه، ومع ذلك فأتمتم تعتمدون عليه إشباعاً لرغبتكم في تقسيم المسلمين، واحتكار الحق لأنفسكم، فجعلتم مثل هذه الأحاديث الضعيفة والمتكلم فيها أساساً في تقسيم المسلمين، وهكذا بكل بساطة تلقون بجمل علماء المسلمين في النار على اعتبار عدم اتسابهم لفرقتكم الناجية !!!

إن الزيادة الواردة في حديث افتراق الأمة على ثلات وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، لم تثبت هذه الزيادة في الروايات الصحيحة لهذا الحديث.

وإن في هذا الحديث كلام في السنده والمتنه كما ذكر المحدثون فالحديث الذي رواه الترمذى مداره على محمد بن عمر بن علقمة بن وقاص الليثي وجاء في (تهذيب التهذيب) علم أن الرجل متكلم فيه من قبل حفظه. وأن أحداً لم يوثقه بالإطلاق وكل ما ذكروه أنهم رجحوه على من هو أضعف منه وقال الحافظ في (التقريب) صدوق له أو هام والصدق لا يكفي مالم ينضم إليه الضبط فكيف إذا كان معه أوهام.

ولهذا طعن العالمة ابن الوزير في هذا الحديث عامة وفي الزيادة خاصة وهي (أن الفرق كلها في النار إلا واحدة) لما يؤدي ذلك من تضليل الأمة بعضها البعض. وقال ابن حزم إن الزيادة موضوعة غير موقعة ولا مرفوعة (العواصم والقواسم ج ١/١٨٦) ولقد روى الحديث عن طريق أبي هريرة ليس فيه زيادة (إن الفرق كلها في النار إلا واحدة).

وروي هذا الحديث بالزيادة عن طريق عبد الله بن عمرو ومعاوية وعوف بن مالك وكلها ضعيفة.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي «نقد منهج الأشاعرة في العقيدة»

ثم إن الحديث يدل على أن الفرق كلها جزء من أمته ﷺ ما يعني أن أحداً منها لم يخرج من أمته، والتي مآلها إلى الجنة لقول رسول الله ﷺ (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة)، ومن دخل منهم النار دخل دخول العصاة الموحدين ثم يدخل الجنة. وهذا الحديث ما من فرقة من فرق المسلمين إلا رمت غيرها به حتى تفرقت الأمة مع أنه على جانب من الخطورة وكان ينبغي بحثه وهناك كتب حديثة أفردت لها بحوثاً ينبغي العودة إليها.

ولقد بالغت كثير من الفرق الإسلامية في إقصاء غيرها والحكم عليها بالهلاك، مع أن الخلاف لم يقع في قطعيات كبرى، وهم متتفقون في الغالب على المعلوم من الدين بالضرورة وهم بهذا الإيمان ناجون إن شاء الله، ومن جحد المعلوم من الدين بالضرورة هو من يخشى عليه.

فالآخرى بنا في هذا الزمن أن تتسع صدورنا البعض، وأن نتسامح في المختلف فيه، وأن نقدم القطعي على الظني، ونجتمع على الأصول، فأهل القبلة كلهم إخوان، وإن شاء الله بعثهم قصد الحق، وينبغي ألا يضرب ببعضنا وجوه بعض مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ.

خاتمة

وبعد يا دكتور : سفر رحمني ورحمك الله
إن الأمة الإسلامية تواجه اليوم من قبل أعدائها صعوبات شتى،
وليس من العلم ولا الحكم ولا الدين، أن نفرق الأمة ونزيد من هوة
الخلاف بين أبنائنا فكل ما تنكره على الأشاعرة بينما لكم بالدليل الواضح
والبرهان الجلي آراء العلماء من أهل السنة والجماعة فيه، ولنعلم جميعاً
أتنا محاسبون أمام الله عز وجل عن كل كلمة تكتب يكون نتاجها التفريق
والتمزيق، ثم إننا محاسبون أمام الله عز وجل عن اختزال الأمة في رجل
واحد وحمل الناس على وجهة نظر واحدة.

ومن المعتمد لدى كبار العلماء هو عدم الخوض في علم الكلام (خصوصاً عند
العوام).

فمن العقيدة الطحاوية كاف، ولو لا أنك خضت في هذا، وتسبيب وأعنت على
تفرق أهل السنة والجماعة لما كلفت نفسي هم الرد.
ولكن لا ينبغي تأخير البيان عند الحاجة.

ولا ينبغي أن نخطئ جمهور علماء المسلمين من أجل عالم واحد مهما كانت
منزلته ، فكل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ.
أسأل الله السداد والتوفيق لنا ولجميع المسلمين.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الصفحة	الفهرس التفصيلي	الموضوع
		المقدمة
		بيان من هم أهل السنة
		اعتراف الدكتور سفر أن مذهب جمهور المسلمين هو مذهب الأشاعرة
		الدكتور سفر ينقل رأي المالكية عن ابن خوiz منداد وهو متكلم فيه عند المالكية ويترك
		النقل عن أئمة المالكية ومعلوم أن المالكية أشاعرة.
		الدكتور سفر ينقل عن ابن سريح رأيه في مذهب الأشاعرة الذي تكون بعد وفاته
		وينقله أيضاً بسند فيه انقطاع
		الدكتور سفر ينقل عن الكرجي من غير تحقيق مع كون النقل غير صحيح ويترك
		علماء الشافعية والأكابر وجلهم أشاعرة كالشيرازي والجويني والغزالى والعز ابن عبد
		السلام وابن دقيق العيد والنwoي وابن عساكر والعراقي وابن حجر وغيرهم.
		الدكتور سفر ينقل عن المروي وهو مطعون فيه عند ابن تيمية
		الدكتور سفر يلبس على القراء بإيهامه أن متن الطحاوية موافق لعقائده ومعلوم أن
		متن الطحاوية موافق لمذهب الأشاعرة.
		الدكتور سفر ينقل عن ابن أبي العز الذي أنكر عليه أئمة الحنفية كلامه ولم ينقل عن
		الحنفية الكبار وجمهور الحنفية ما تريديه ، فلم لم ينقل عن ابن الهمام والزبيدي مثلاً.
		ابن كلاب من أئمة أهل السنة
		نصوص الإمام أحمد في التأويل
		البخاري يستمد مباحثه الكلامية من الكرابيسي وابن كلاب
		بيان أنه لا تناقض بين كلام الإمام أحمد وكلام البخاري وابن كلاب والكرابيسي

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالى « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الصفحة	الموضوع
	التعريف بمذهب الأشاعرة وبيان مطابقته للمنقول عن السلف الصالح
	دحض دعوى رجوع الإمام الرازى
	بيان من هم الأشاعرة
	إثبات أشعرية النورى
	بيان المقصود بالتشبيه والتجمیم
	صحة ما ذكره علماء أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية من أن النصوص موهمة للتشبيه إذا حملت على ظواهرها.
	تخطيئة من أدعى أن مذهب السلف هو علم المعنى وتقویض الكيف.
	تحقيق مذهب السلف في الصفات.
-	النقول من المذاهب الأربع وغيرها على تنزيه الله عن المكان والجهة أسماء الأئمة الذين تم الاستشهاد بأقوالهم في نفي الجهة والمكان :
١.	الصحابي الجليل والخليفة الراشد سيدنا علي رضي الله عنه
٢.	التابعي الجليل الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم
٣.	الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين رضوان الله عليهم
٤.	الإمام المجتهد أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه
٥.	الإمام المجتهد محمد بن إدريس الشافعى رضي الله عنه
٦.	الإمام المجتهد الجليل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى
٧.	الإمام شيخ المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الصحيح
٨.	الإمام الحافظ الفقيه أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوى الحنفى
٩.	الحافظ محمد بن حبان
١٠.	الشيخ أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي
١١.	الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البهقى الشافعى
١٢.	القاضى الشيخ أبو الوليد محمد بن أحمد قاضى الجماعة بقرطبة المعروف بابن رشد الجد المالكى

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الصفحة	الموضوع
١٣.	الحافظ المؤرخ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشهير بابن عساكر الدمشقي
١٤.	الإمام الحافظ المفسر عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي الخنبلبي
١٥.	الشيخ أبو منصور - فخر الدين عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن عساكر
١٦.	الشيخ جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي
١٧.	الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الأشعري الملقب بسلطان العلماء
١٨.	الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي الأشعري
١٩.	الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري
٢٠.	الشيخ القاضي زكريا الأنصاري الشافعي الأشعري
٢١.	الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حجر الهميم الأشعري
٢٢.	الشيخ العلامة أبو البركات أحمد بن محمد الدردير المالكي المصري
٢٣.	الحافظ اللغوي الفقيه السيد محمد مرتضى الزبيدي الحنفي
٢٤.	الشيخ محمد الخضر الشنقيطي بيان أصل نشوء التشبيه عند أهل الإسلام الأصول المنهجية لعقائد المشبهة والمجسمة. مسألة قدم العالم بالنوع
	تفسير المقام المحمود وخطبته ابن تيمية في تفسيره المقام المحمود بإجلال النبي على العرش مع الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وخطبته أيضاً في نسبته هذا الكلام الفاسد لابن جرير الطبرى.
	خطبته ابن القيم في نسبته الكلام السابق الفاسد إلى ابن جرير الطبرى. إنكار الألبانى لكلام ابن تيمية ورده عليه.
	تبليغ الدكتور سفر على القراء وزعمه أن مصدر التلقى عند الأشاعرة هو العقل عدم فهم الدكتور سفر للقانون الكلى عند الإمام الرازى.
	دحض كلام الدكتور سفر في نقضه للدليل الحدوث والقدم عند الأشاعرة.
	بيان بطلان التقسيم المخترع للتوحيد وذكر ما يتربى على تقسيم التوحيد إلى ربوبية

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الصفحة	الموضوع
	واللوهية وأسماء وصفات من مفاسد. نقض شبهة المتمسلفة بقولهم دفاعاً عن تقسيمهم الباطل للتوحيد بأن هذا تقسيم اصطلاحي.
	الدكتور سفر لعدم فهمه لكلام الأشاعرة في مسألة أول واجب على المكلف يقيم المعارض في الهواء ويحكي أقوالاً مدارها على معنى واحد فهي في الحقيقة مؤتلفة وليس مختلفة.
	نقض كلام الدكتور سفر في الاستدلال بالفطرة وبيان ما فيه من تهافت الرد على كلام سفر في مسألة الإيمان وبيان مذهب أهل السنة والجماعة. تحقيق الكلام في صفة الكلام عند الباري جل شأنه
	عدم فهم الدكتور سفر لكتاب الأشعري والكلام على معنى الكسب عند الأشعري. بيان مذهب أهل السنة والجماعة في أن الفاعل على الحقيقة هو الله ونقل كلام نفييس لحجۃ الإسلام في تقریر هذه المسألة مع الاستشهاد بحديث شریف یؤیدہا ذہب إلیه أهل السنة وبيان أن ما ینصره الدكتور سفر في هذه المسألة إنما هو قول الفرق الضالة المنحرفة.
	نقل كلام مهم لسلطان العلماء في إثبات أن الفاعل على الحقيقة هو الله تعالى. عدم فهم الدكتور سفر لمذهب الأشاعرة في الحكمة وبيان تخبطه. بيان مذهب أهل السنة في الحكمة في أفعال الله تعالى.
	الدكتور سفر كعادته یصور مذهب الأشاعرة كما یتخيل ودون توثيق فيفهم كلام أهل السنة في جواز التکلیف بـلا یطاق على غير الصواب. بيان كلام أهل الحق في جواز التکلیف بما لا یطاق.
	الدكتور سفر لا یحرر المسائل فهو لا یعلم محل النزع في التحسين والتقيیح الفعلین ثم یلزم الأشاعرة بما لا یلزمهم. بيان کلام أهل الحق في مسألة التحسين والتقيیح الفعلین.
	إفحام الدكتور سفر في مسألة التأویل بإيراد أمثلة من تأویل السلف. نقل کلام رصین ودقیق للإمام ابن دقیق العید في الصفات.

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الصفحة	الموضوع
	إبطال استشهاده بحديث الفرقة الناجية
	الخاتمة
	الفهرس التفصيلي
	الفهرس الإجمالي

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

الفهرس الإجمالي

الصفحة

الموضوع

كلمة الناشر

المقدمة

بيان من هم أهل السنة

اعتراف الدكتور سفر أن مذهب الأشاعرة هو مذهب جمهور الأمة
بيان تلبيس الدكتور سفر في بيانه حكم الأشاعرة عند أئمة المذاهب الأربع

دحض إدعاء الدكتور سفر رجوع الإمامين الجوهري والرازي
ابن الجوزي موافق للأشاعرة في المعتقد والنبوة أشعري أما الحافظ فكل الدنيا تعلم
أشعريته وإمامته في علم الكلام لكن الدكتور يراه متذبذبا

رأي العلماء في الأشاعرة

إثبات أشعرية النبوة

بيان المقصود بالتشبيه والتجسيم

بيان أصل نشوء التشبيه عند أهل الإسلام

الأصول المنهجية لعقائد المشبهة والمجسمة

موقف ابن تيمية من قضية التجسيم والمجسمة

مسألة قدم العالم بال النوع

تفسير المقام الحمود عند ابن القيم وابن تيمية

الكلام على مصدر التلقي عند الأشاعرة

الكلام على القانون الكلي عند الرازي

إثبات وجود الله

بيان تقسيم المتمسلفة للتوحيد

أول واجب عند الأشاعرة

الكلام على الاستدلال بالفطرة

الإيمان

القرآن

مناقشة علمية لكتاب الدكتور سفر الحوالي « نقد منهج الأشاعرة في العقيدة »

القدر

السببية وأفعال المخلوقات

الحكمة الغائبة

مسألة تكليف ما لا يطاق

التحسين والتقييم

التأويل

الصفات

الفرقة الناجية

الخاتمة

الفهارس

هذا الكتاب

في هذا الكتاب :

- رد موجز على كتاب الدكتور سفر الحوالى "نقد منهج الأشاعرة في العقيدة".
- بيان من هم أهل السنة والجماعة.
- الدكتور سفر لا يعتمد في بيان رأي المذاهب الأربع في الأشاعرة على العلماء المعتمدين، ولكنه إما أن ينقل عن الشذوذ الذين اطرحهم أهل مذهبهم ويغض الطرف عن كلام الجموع الغفيرة، أو ينقل عن آئمة ماتوا قبل تكون المذهب الأشعري، أو ينقل عنمن يوافق الأشاعرة وهو لا يدري.
- توضيح خطأ الدكتور سفر في حكاية مذهب السادة الأشاعرة ومناقشته فيما ينسبه لأهل السنة من أقوال، وبيان أن كثيراً مما يتبعه الدكتور سفر ليس من أقوال أهل السنة.
- بيان أن الدكتور سفر يفتقر إلى المنهجية في البحث، وأنه لا ينتصر لما يؤدي إليه البحث والبرهان، وإنما لما تقرر عنده سابقاً، ثم يرمي الحافظ ابن حجر العسقلاني بالتدبّب في العقيدة.
- عشرات النقول عن الآئمة الأعلام في نفي العلو الحسي الذي يصر المتمسلفة على وصف الله جل جلاله به، تعالى الله عما يقول المتمسلفة علوأ كبيراً.